ظل المكتبة

بهار محمد

رواية

ظل المكتبة

أول رواية بوليسية

بقلم بهار محمد

في قصر كروسبي حيث يتراقص الظل مع كل همسة ريح عابرة كانت المكتبة تحتضن أكثر من مجرد رفوف عتيقة مليئة بالكتب، كانت قلباً ينبض بالأسرار وصندوقاً خشبياً يختزن حكايات الأمس والغد، في ليلة حالكة مليئة بالضباب تُرك السيد ريتشارد كروسبي سيد القصر المهيب جثة هامدة وسط فوضى الأوراق المتناثرة وعيناه الزجاجيتان تحدقان في سقفٍ لم يعد يراه. .

بينما كانت الشرطة تتلمس طريقها عبر ردهات القصر الباردة كان المفتش هاري كروس يدرك أن الحقيقة لن تكون واضحة المعالم كخط يدٍ على ورقة، في هذا المنزل كل فرد يرتدي قناعاً وكل كلمة تحمل أكثر من معنى، وكل إشارة يمكن أن تكون خيطاً رفيعاً يقود إلى الحقيقة، أو إلى هاوية من الخداع. .

فمن بين أفراد العائلة الذين تجمعوا في صالون الانتظار، كل منهم يحمل عبئاً ثقيلاً من الغضب، الطمع، أو اليأس، كان هاري كروس يعلم أن القاتل يقبع بينهم ولكن كيف

تكشف عن وحش يختبئ ببراعة في ظل المكتبة؟ وكيف تميز الحقيقة عن الكذب في منزل يتنفس الأسرار . .

لم يكن ضباب لندن العادي بل وشاحاً كثيفاً رطباً يبتلع الأصوات ويحيل الأضواء إلى هالات شبحية في قلب مايفير حيث تتوارى قصور النبلاء خلف الأشجار العالية وأسوار الحديد المطاوع، كان ريفينزوود هاوس يختبئ بصمت مدقع كأنه يحتضن سراً ثقيلاً، واجهته الأمامية من الطوب الأحمر الداكن ونوافذه الطويلة الشبيهة بالعيون العمياء كانت بالكاد ترى من وراء هذا الحجاب الأبيض الرمادي، بينما كانت أغصان الأشجار تتلوى كأصابع أشباح ويهمس الضباب بينها حكايات قديمة..

كانت الساعة تشير إلى السادسة صباحاً عندما انقشعت ستائر الصمت أخيراً، ليس بفعل رياح قوية بل بصرخة حادة اخترقت جدران القصر العتيق وتلاشت سريعاً في بحر الضباب المحيط، لم يسمعها أحد في الخارج لكنها كانت كافية لتمزق رداء الليل داخل المنزل، وفي المكتبة الضخمة حيث تعانق أرفف الكتب الشاهقة سقفاً مزخرفاً، وبينما كانت المدفأة تلفظ أنفاسها الأخيرة كان السيد ريتشارد كروسبي ملقى على أرضية خشبية لامعة وعيناه الزجاجيتان تحدقان في سقف لا يراه وكأنهما تحملان آخر

رسالة لم يتمكن من البوح بها، كانت الضباب يمتزج بالخوف وبلاط الحجر البارد يحتضن سراً لم يكن الضباب وحده قادراً على إخفائه..

لم يكن الضباب يراعي أحداً ولا حتى الشباب الطموحين في سكوتلاند يارد اخترقت سيارة الشرطة الظلام الرمادي ببطء، أنوارها الأمامية بالكاد تشق طريقها عبر السائل المتكاثف الذي يلف شوارع مايفير، كانت الساعة تشير إلى السادسة والنصف صباحاً والهدوء كان مخيفاً لا يقطعه سوى صوت محرك السيارة الخافت وصفارات الإنذار البعيدة لسيارة الطب الشرعي القادمة، ترجل المفتش هاري كروس من سيارته يتبعه عن كثب صديقه الوحيد ومساعده توماس، كان هاري في أوائل الثلاثينات من عمره يرتدي معطفه الشتوي الثقيل ووجهه الوسيم الشاب يخفي تركيزاً حاداً، كانت القضية اختباراً حقيقياً له، فرصة لإثبات نفسه في عالم سكوتلاند يارد، وتوماس الأصغر سناً والأكثر حيوية يمسك دفتر ملاحظاته وعيناه تلمعان بترقب، وصلا إلى بوابة ريفينزوود هاوس الحديدية المزخرفة والتي كانت مفتوحة على مصراعيها وكأنها تدعو الغرباء إلى سرّها، رائحة الضباب الباردة والرطبة تغلغلت في رئتيهما مصحوبة برائحة خافتة من التربة المقلوبة وربما شيء آخر لم يستطع كروس تحديده بعد، المنزل الفيكتوري المهيب بدا وكأنه يرتفع من العدم وواجهته الحجرية المظلمة تختفي في الأفق الرمادي..

توجه كروس بخطوات ثابتة نحو المدخل الأمامي عند الباب استقبله أحد الضباط المناوبين بصوت خافت وهو يقترب منهما: صباح الخير سيدي، المشهد بالداخل كما وصفه المذيع، لا توجد علامات على اقتحام قسري..

أومأ هاري برأسه ولم ينبس ببنت شفة بينما أخذ توماس يدوّن الملاحظات، كان كروس يمسح بعينيه الحادتين محيط البيت يلاحظ كل تفصيله، قطرات الندى المتجمعة على أغصان الأشجار، لمعان أوراق الشجر الداكنة لنباتات اللبلاب المتسلقة على الجدران والصمت المخيف الذي لف المكان، عندما دخلا المنزل أحاطت بهما رائحة مميزة من الأثاث القديم والخشب المصقول ممزوجة الآن برائحة المعدن البارد التي تعرف عليها جيداً، كان الضباب قد تسلل إلى الداخل عبر النوافذ المفتوحة جزئياً في قاعة المدخل الكبيرة مما جعل المصابيح المتدلية من السقف تبدو كأقمار بعيدة..

أشار الضابط نحو ممر طويل مظلم " المكتبة سيدي" وجدت السيدة كروسبي الجثة هناك..

تقدم كروس ببطء وثبات يتبعه توماس عن كثب، كانا يفتحان كل حواسهما ليستوعبا ما يريانه وما لا يريانه في هذا الصباح الضبابي في ريفينزوود هاوس، فتح توماس الباب الثقيل للمكتبة بهدوء يليه كروس مباشرة، كشف المشهد عن قشعريرة تسللت إلى أعماق العظام، كانت الغرفة

ضخمة تمتد أرفف المكتب الخشبية الداكنة على طول الجدران الأربعة تصل إلى سقف المرتفع المزخرف، رائحة ورق المكتب القديم والجلد الفاخر كانت تملأ الهواء ممزوجة الآن بنفحة خفيفة من شيء أقوى وأكثر دموية، كان الضباب قد تسلل ببراعة إلى داخل المكتبة يضفي على الأجواء طبقة أخرى من الغموض، أضواء المصابيح الجانبية والمصباح المكتبي كانت تبدو خافتة تخلق هالات ضبابية حولها وتجعل الظلال تتراقص وتطول على الأرفف المليئة بالمجلدات كأنها أشباح تراقب، في منتصف الغرفة كان يتصدر المشهد، مكتب ضخم من خشب الماهوجني المصقول مبعثرة عليه بعض الأوراق وبضعة أقلام لكن كل الأنظار كانت تتجه نحو الجسد الملقى على الأرضية الخشبية اللامعة بالقرب من المدفأة الحجرية الكبيرة كان السيد ريتشارد كروسبي ملقى على ظهره ذراعاه ممدودتان على الجانبين، وجهه شاحب وعيناه الزجاجيتان تحدقان في السقف بنظرة خالية من الحياة، لم يكن هناك أي علامة واضحة على صراع عنيف في الغرفة فالكراسي كانت في أماكنها والأرفف لم تكن متضررة كل شيء كان يوحي بجريمة ارتكبت ببراعة أو ربما بخيانة من شخص موثوق به، اقترب كروس بخطوات بطيئة ومتأنية وعيناه تمسحان كل شبر من الغرفة، كان يرتدي قفازين يحرص على عدم لمس أي شيء، سجل توماس ملاحظاته بصمت بينما يراقب صديقه لاحظ كروس على الفور تفاصيل صغيرة، بساط فاخر منسوج يدوياً بالقرب من جسد الضحية عليه بقعة داكنة تزداد

اتساعاً ببطء، نافذة ضخمة في نهاية الغرفة كانت مفتوحة قليلاً تسمح للضباب البارد بالتسلل وتثير تساؤلات حول ما إذا كانت نقطة دخول أم خروج، وقف كروس للحظات يسجل تفاصيل المشهد وتوماس بجانبه يراقب تعابير وجهه بهدوء، كان يدرك أن كل شيء في هذه الغرفة من أدوات المكتب إلى زجاجات الشراب الفاخرة على طاولة جانبية يمكن أن يحمل سراً، الضباب الذي كان يلف الغرفة كان يضيف إلى الشعور بالعزلة والغموض جاعلاً من المكتبة عالماً خاصاً حيث الزمن يتوقف والأسرار تخرج إلى العلن، بعد دقائق من الصمت المطبق حيث كانت عينا كروس تمسحان كل تفصيل في المكتبة وتستوعبان الصدمة الباردة للمشهد رفع نظرة عن جثة السيد كروسبي لم يكن هناك توتر في صوته بل نبرة تحليلية هادئة تعكس عقله الذي بدأ بالفعل في فك شفرات اللغز، التفت إلى توماس الذي كان يقف بجانبه يدون الملاحظات بصمت..

قال كروس بكل هدوء: توماس..

بينما كانت عيناه تتوقفان على النافذة المفتوحة قليلاً: ماذا عن النافذة؟ هل هي مفتوحة من الداخل أم من الخارج؟

نظر توماس إلى النافذة ثم إلى جثة كروسبي قبل أن يعود ببصره إلى كروس متفاجئاً من دقة السؤال!

أجاب توماس: لا توجد آثار أقدام خارجها بسبب الضباب والندى الكثيفين هاري، ولا يوجد أي بصمات على حافة النافذة من الداخل أيضاً، ربما تم مسحها أو أن الجاني كان يرتدي قفازات..

أضاف كروس وهو يعود بنظره إلى الجثة: وربما لم تكن النافذة هي نقطة الدخول أو الخروج على الإطلاق..

تحرك كروس داخل المكتبة بخطوات محسوبة بينما كان توماس يتابعه بعينيه جاهزاً لتدوين أي ملاحظة، اقترب هاري من جثة السيد كروسبي ببطء راكعاً على ركبتيه فوق قطعة قماش وضعها توماس مسبقاً لحماية أي دليل..

تمتم وعيناه مثبتتان على بقعة داكنة على قميص كروسبي الأبيض بالقرب من منطقة القلب، كانت هناك فتحة صغيرة نظيفة لا توحي بصراع كبير بل بهجوم مفاجئ ومحدد "طُعن" وبدقة: سبب الوفاة واضح..

مرر كروس نظره بسرعة حول المنطقة المحيطة بالجثة وقال بنبرة خالية من المفاجأة: لا توجد أداة للجريمة، لم يترك الجاني السكين أو الخنجر أو أي شيء آخر هنا، هذا يعني أنه إما أخذها معه أو أخفاها بعناية..

نظر توماس حوله بقلق: هذا يجعل الأمر أصعب هاري، لا يوجد أي شيء واضح..

وافقه كروس: بالضبط، هذا يخبرنا الكثير عن الجاني، ليس هاوياً..

وقف وتوجه نحو المكتب الضخم كانت الأوراق مبعثرة قليلاً لكنها لم تكن متناثرة بفوضى عارمة، لاحظ كروس علب سجائر فاخرة موضوعة بعناية ومنفضة سجائر نظيفة بشكل غير عادي..

سأل كروس وكان صوته هادئاً لدرجة أنه بدا وكأنه يتحدث إلى نفسه: هل السيد كروسبي يدخن يا توماس؟

نظر توماس إلى سجله الأولي: لا يوجد في ملفه أي إشارة إلى أنه مدخن هاري..

عبس كروس قليلاً: غريب! منفضة السجائر نظيفة جداً وكأنها لم تُستخدم قط، أو أنها تم تنظيفها للتو..

التقط علبة السجائر بين أصابعه المرتدية القفاز ورفعها نحو الضوء الباهت: هذه ليست سجائره أنا متأكد، أشم رائحة عطر معين عليها..

ثم لاحظ هاري شيئاً آخر كانت هناك بصمة خفيفة لشيء دائري ربما قاع كأس على سطح المكتب المصقول بجانب الأوراق المبعثرة لكن لم يكن هناك كأس!

- توماس!

تابع هاري وعيناه تتوقفان على البصمة: ابحث عن أي شيء في الغرفة يبدو في غير مكانه، أي شيء صغير، أي شيء لا ينتمي إلى هذا المكان..

وعاد بتركيزه إلى الغرفة: توماس لنبدأ بالبحث المنهجي، كل شيء في هذه الغرفة يمكن أن يكون له علاقة، أو أن يكون قد تم التلاعب به..

أومأ توماس برأسه وبدأ يتحرك ببطء حول المكتبة يمسح الجدران والأرفف والأسطح بعينيه المدققة متجنباً لمس أي شيء بغير قفازاته، وكان هاري يفعل الشيء نفسه لكن بطريقة أشبه بالمسح الضوئي ولا يترك أي تفصيل يفلت من نظره، دقائق من الصمت لم يكسرها سوى صوت الضباب الخفيف الذي يتسلل من النافذة المفتوحة، كان هاري يركز على منطقة المكتب القريبة من الجثة، مد يده ببطء نحو كومة الأوراق المبعثرة بشكل يبدو عشوائياً رفع ورقة واحدة بحذر، كانت فاتورة قديمة لمحل لبيع التحف في كنسينغتون، وضعها جانباً ليتم فحصها لاحقاً، وبينما كان يعيد ترتيب الأوراق بحذر شديد لاحظ كروس شيئاً صغيراً يلمع تحت حافة دفتر ملاحظات مفتوح على المكتب، كان جسماً لامعاً بالكاد مرئياً وكأنه انزلق إلى هناك عن غير قصد، التقطه كروس بملقط صغير من حقيبة الأدلة التي أحضرها توماس، كان زراً صغيراً من عرق اللؤلؤ، زر أنيق مصقول ولامع من النوع الذي يستخدم غالباً في قمصان السهرة الفاخرة أو الستر الرسمية، لم يكن من الواضح على الفور ما إذا كان ينتمي إلى السيد

كروسبي أو إلى شخص آخر كان في الغرفة، نظر كروس إلى الزر بعناية ثم رفعه نحو الضوء الباهت الذي يخترق الضباب وقال بنبرة هادئة: هذا توماس، هذا قد يكون أول خيط لنا، ليس للسيد كروسبي أي أزرار مفقودة من قميصه وهذا الزر لا يشبه أزرار بدلته..

أخذ توماس يكتب الملاحظة في دفتره، زر قميص، هاري هل تعتقد أنه سقط من الجاني؟

أجاب كروس: أو من شخص كان هنا قبله مباشرة..

وهو يعيد الزر إلى كيس الأدلة: المكتبة ليست مكاناً تسقط فيه الأزرار عادةً، يجب أن نسأل سكان المنزل عن هذا..

كان الضباب لا يزال يلف المنزل من الخارج لكن في المكتبة بدأ خيط رفيع من الأدلة يتضح ووعد بالكشف عن الحقائق التي يخفيها هذا القصر العتيق..

بينما كان كروس وتوماس يواصلان مسحهما الدقيق للمكتبة كانت عينا كروس تستقران على رف كتب يبدو عادياً، لم يكن هناك شيء مميز فيه للوهلة الأولى لكن شيئاً ما في ترتيب الكتب لفت انتباهه، كانت بعض الكتب الموضوعة في مكان غير مألوف وكأنها تم إخراجها وإعادتها على عجل، مد كروس يده بحذر وأخرج كتاباً ضخماً عن التاريخ الروماني، لم

يكن الكتاب نفسه هو ما لفت انتباهه بل ما كان مخبأ خلفه، مظروف صغير غير مختوم وقديم بعض الشيء، التقط كروس المظروف بملقط وتناوله بعناية، كان خفيف الوزن وكأن ما بداخله ورقة واحدة، فتحه بحذر شديد وسحب الورقة المطوية كانت مكتوبة بخط يد أنيق، لكن الرسالة نفسها كانت مثيرة للقلق، قرأ كروس بصوت خافت والضباب يلف الكلمات وكأنها أسرار: لم يبقَ لي خيار آخر يا ريتشارد لقد تجاوزت كل الحدود، ما أخذته سيُدفن معك..

نظر كروس إلى توماس الذي كانت عيناه تتسعان بصدمة، كانت الكلمات واضحة ورغم أنها لم تذكر اسم الجاني إلا أنها كانت تحمل تهديداً مباشراً..

تمتم توماس: يا إلهي رسالة تهديد! هل وجدها السيد كروسبي قبل وفاته؟

أجابه كروس وهو يعيد الملاحظة بحذر شديد ويضعها في كيس أدلة: أو بعد، المهم أنها كانت هنا مخبأة خلف الكتب، هذا يخبرنا أن الجاني ربما كان شخصاً يعرف هذه المكتبة جيداً أو ربما كان يعرف مكان كروسبي يحتفظ بأسراره..

كانت هذه الملاحظة دليلاً قوياً لكنها فتحت أبواباً جديدة من الأسئلة: من كتبها؟ وماذا أخذ ريتشارد كروسبي؟ وهل ما أخذ هو الدافع الحقيقي وراء الجريمة؟

وقرر كروس البدء بالاستجواب مع الشخص الذي اكتشفت الجريمة أولاً والذي كان يعيش مع الضحية السيدة سارة كروسبي الزوجة الشابة هي في وضع يسمح لها بتقديم أكبر قدر من المعلومات وقد تكون أيضاً أول من يخضع للشك..

قاد توماس صديقه هاري إلى غرفة الرسم الكبيرة وهي غرفة أنيقة مليئة بالأثاث الفاخر واللوحات الزيتية القديمة، كانت السيدة سارة كروسبي جالسة على أريكة مخملية داكنة تلف نفسها بشال صوفي وتبدو شاحبة ومتعبة، عيناها الحمراوان كانتا تدلان على بكاء طويل لكن ملامح وجهها الشابة الجميلة لم تكن تخلو من لمحة قوة أو ربما عزيمة، كانت رائحة القهوة الطازجة تملأ الغرفة وقد وضعت خادمة المنزل كوباً منها أمام سارة، وقفت بيرتا مدبرة المنزل في زاوية الغرفة بصمت وعيناها تراقب سارة بقلق واضح، اقترب كروس وتوماس بهدوء وقدم كروس نفسه بصوت هادئ ومحايد وبعدها جلس على كرسي قبالها مباشرة وتوماس بجانبه مستعداً لتدوين كل كلمة: سيدة كروسبي أنا آسف جداً لوضعك في هذا الموقف الصعب، نعلم أن هذا وقت عصيب للغاية..

أومأت سارة برأسها بضعف ولم تتكلم ليكمل كروس كلامه بنبرة حازمة لكنها غير عدائية: نحن هنا لمحاولة معرفة ما حدث الليلة الماضية، أدرك أنكِ من اكتشفت الجثة وهذا بلا شك أمر مروع..

توقفت سارة عن البكاء ورفعت عينيها لتحدق فيه: هل يمكنكِ أن تخبرينا سيدة كروسبي بالتفاصيل الدقيقة لاكتشافكِ للحادثة هذا الصباح؟

كان السؤال واضحاً ومباشراً ويهدف إلى الحصول على القصة الأساسية قبل التعمق في التفاصيل أو الشكوك، كانت هذه هي أول محطات الحقيقة في ريفينزوود هاوس..

ارتجفت سارة كروسبي للحظة عند سؤال كروس المباشر لها وكأنها تجمع شتات نفسها بصعوبة وعيناها تتجولان في الغرفة الفخمة وكأنها لا تستطيع تصديق ما يحدث، أخذت نفساً عميقاً ثم بدأت تتحدث بصوت خافت بالكاد يكون همساً لكنه اكتسب قوة تدريجية مع كل كلمة: استيقظتُ.. استيقظتُ قبل الفجر بقليل، ربما في الرابعة والنصف لم أستطع النوم جيداً الليلة الماضية كان الضباب كثيفاً جداً وكانت الأفكار تتزاحم في رأسي..

توقفت سارة وعيناها تتجنبان نظرة كروس المباشرة..

– كان السيد ريتشارد.. السيد كروسبي يقضي ساعات طويلة في المكتبة كعادته حتى وقت متأخر من الليل يقرأ أو ينهي بعض الأعمال، لم أزعجه وعدت إلى النوم..

تنهدت بعمق وابتعلت ريقها بصعوبة: استيقظتُ في الساعة السادسة ووجدت فراشه خالياً، اعتقدت أنه ربما مازال في المكتبة أو ذهب للتمشية، لم أكن قلقة في البداية..

هنا بدأت نبرة صوتها تتغير تسلل إليها رعشة خفيفة: ذهبت.. إلى الطابق الخلفي وتوجهت مباشرة إلى المطبخ لأطلب من السيدة بيرتا إعداد الشاي، مررت بالمكتبة وكان بابها مفتوحاً قليلاً.. ليس مغلقاً بالكامل كما يتركه ريتشارد عادةً..

توقفت لحظة وأكملت وعيناها الآن مليئتان بالدموع التي كانت تحاول كبحها: نظرتُ إلى الداخل ورأيته.. رأيته ملقى على الأرض، لم أصدق ما رأيت صرختُ.. صرختُ بأعلى صوتي وهرعت السيدة بيرتا ثم اتصلنا بالشرطة..

توقفت سارة ووضعت يدها على فمها تحاول منع شهقة أخرى، كانت القصة تبدو واضحة تفاصيلها متسلسلة لكن كروس لاحظ بعض النقاط التي أثارت فضوله، الأفكار تتزاحم في رأسي، ماهي هذه الأفكار التي كانت تمنعها من النوم؟ لم أزعجه وذهبت إلى النوم هل كان هذا طبيعياً في

علاقتهما؟ الباب مفتوح قليلاً وليس مغلقاً بالكامل كما يتركه ريتشارد عادةً! هذه ملاحظة دقيقة قد تكون مهمة، بكائها الآن هل هو بكاء حقيقي على زوجها أم صدمة من الموقف أم ربما شيء آخر..

نظر كروس إلى توماس الذي كان يكتب بسرعة ثم عاد إلى سارة وعيناه ثابتتان عليها، كان لديه سؤال آخر سؤال سيلامس جوهر الزواج المثير للجدل..

واصل هاري مراقبة سارة باهتمام بينما كانت تنهي روايتها عن اكتشاف الجريمة، كان يرى فيها خليطاً من الصدمة والإرهاق لكنه لم يستطع أن يغفل عنها لمحة من التوتر أر ربما التكتم، حان الوقت الآن للتطرق إلى التفاصيل الأكثر شخصية وقال محافظاً على نبرة صوته الهادئة: سيدة كروسبي أدرك أن هذا سؤال حساس لكنه ضروري لكي نفهم الصورة كاملة، كم مضى على زواجكِ من السيد كروسبي؟

رفعت سارة عينيها وبدت عليها لمحة من الاستياء الخفيف أو ربما الانزعاج من السؤال الذي يلامس حياتها الشخصية، وأجابت بصوت أكثر ثباتاً هذه المرة: عام واحد بالضبط، احتفلنا بذكراه قبل أسبوعين..

وسألها وهو يراقب تعابير وجهها عن كثب: وكيف كانت علاقتكما؟ هل كانت هناك أي خلافات مؤخراً؟ أي مشاكل مالية أو شخصية قد تؤثر على زواجكما؟

ترددت سارة للحظة وعيناها تتجولان مرة أخرى حول الغرفة وكأنها تبحث عن كلمات مناسبة وقالت أخيراً: ريتشارد كان.. ريتشارد كان رجلاً معقداً..

وتجنبت الإجابة المباشرة: لكن زواجنا كان.. كان جيداً، كانت هناك بعض التوترات كما هو الحال في أي زواج، خلافات بسيطة حول أمور المنزل أو بعض اجتماعاته المتأخرة لا شيء يستدعي القلق..

سألها هاري بشكل مباشر وعينه ثابتة على سارة: هل كان للسيد كروسبي أعداء؟ أو هل كان يواجه تهديدات؟ هل ذكر لكِ شيئاً عن أي شخص قد يرغب في إيذائه؟

تنهدت سارة بعمق وهزت رأسها ببطء: ريتشارد كان رجل أعمال ناجح في عالم الأعمال، هناك دائماً منافسون وأشخاص قد لا يحبون نجاحك، لكن التهديدات؟ لا لم يذكر لي أي تهديد مباشر، لم يتحدث أبداً عن أمور عمله التفصيلية معي..

تابع كروس مصمماً على استخلاص أكبر قدر من المعلومات: وماذا عن حياته الشخصية؟ هل كان لديه أي أسرار؟ أي علاقات سابقة أو التزامات لم يخبركِ بها؟

بدت سارة متوترة بشكل واضح وقالت بصوت خافت وهي تلف حول نفسها أكثر في الشال: لا أعرف عن أي أسرار كبيرة؟ كان يقضي الكثير من وقته في المكتبة يقرأ، هذا كل ما أعرفه..

كانت إجابات سارة مراوغة بعض الشيء خاصة فيما يتعلق بالخلافات أو الأسرار، هذا يثير المزيد من الشكوك حولها أو على الأقل يوحي بأن هناك ما تخفيه أو أنها لا تعرف الكثير..

بعد سلسلة من الإجابات المراوغة التي لم تُشبع فضول كروس قرر أن يغير تكتيكه، نظر إلى توماس الذي أومأ برأسه ثم أخرج كروس كيس الأدلة البلاستيكي الشفاف الذي يحتوي على الزر من عرق اللؤلؤ..

وقال رافعاً الكيس لكي تراه بوضوح: عند فحص المكتبة عثرنا على هذا الزر إنه لقميص فاخر أو ربما سترة رسمية، هل سبق لكِ أن رأيته من قبل؟ هل ينتمي للسيد كروسبي أو لأحد زواره؟

تغير لون وجه سارة وأصبح شاحباً وأمالت رأسها قليلاً وعيناها تحدقان في الزر من خلال البلاستيك، بدت وكأنها تحاول استيعاب وجوده، ثم هزت رأسها ببطء ونبرة صوتها يحمل ارتباكاً واضحاً هذه المرة: لا.. لا أعتقد أنني رأيته من قبل، ريتشارد.. لم يكن يرتدي هذا النوع من الأزرار عادةً ولم أره على أي من ملابسه، توقفت ثم أضافت بصوت منخفض: لم يكن لدينا زوار كثيرون مؤخراً خاصة في وقت متأخر من الليل..

لم يعلق كروس على إجاباتها بدلاً من ذلك أخرج بعناية المظروف القديم والورقة المطوية التي وجدها خلف الكتب، كانت حركته بطيئة ومحسوبة يهدف إلى زيادة التوتر والترقب، فتح الورقة ووضعها بحيث تكون الكلمات مرئية لسارة وقال ونبرة صوته أصبحت أكثر جدية: وعثرنا على هذه أيضاً كانت مخبأة بعناية خلف مجموعة من الكتب في المكتبة، هل تعرفين صاحب هذا الخط؟ وهل لديكِ أي فكرة عما قد تعنيه هذه الكلمات؟

قرأت سارة الملاحظة: " لم يبقَ لي خيار آخر لقد تجاوزت كل الحدود ما أخذته سيُدفن معك "..

بمجرد أن وقعت عيناها على الكلمات شهقت بصوت مسموع واتسعت عيناها بشكل كبير وارتعش جسدها بالكامل وتحول وجهها من الشحوب إلى احمرار طفيف ثم عاد ليشحب مرة أخرى والتقطت نفسها بصعوبة ونظرت إلى هاري كروس بخوف لم تستطع إخفاءه وتمتمت: يا إلهي..

وصوتها بالكاد مسموع: لا.. لا أعرف هذا الخط ولا أفهم.. لا أفهم ما هذا؟ ما الذي أخذه؟

بدت الكلمات صادرة منها بغير وعي وكأنها تتحدث إلى نفسها أكثر من حديثها إلى كروس لكن كان واضحاً أن الملاحظة قد أحدثت صدمة عميقة لسارة سواء كانت تعرف شيئاً أم لا فإن تأثير الرسالة عليها كان حقيقياً

وقوياً، هذا يفتح باباً جديداً للتحقيق ويثير تساؤلات حول مدة معرفتها بأسرار زوجها أو ماضيه..

لاحظ كروس بوضوح رد فعل سارة على الملاحظة كان ذعرها حقيقاً سواء كانت تعرف ما تعينه الكلمات أم لا، هذا يؤكد أن الملاحظة ليست مجرد خدعة بل تحمل في طياتها سراً خطيراً كان يؤرق كروسبي أو شخصاً قريباً منه، بعد رد فعل سرة أدرك كروس أن سارة إما أنها لا تعرف شيئاً حقاً عن هذا الأمر أو أنها تخفي معرفة خطيرة لكنه قرر عدم الضغط عليها فوراً بهذا الشأن بدلاً من ذلك سيوجه انتباهه نحو فهم ماذا أخذ كروسبي؟ من خلال مسارات تحقيق أخرى..

بعد أن أستوعب المفتش الشاب هاري كروس رد فعل سارة كروسبي على الملاحظة أدرك أن الضغط عليها أكثر الآن لن يجدي نفعاً، كانت إما غير مدركة تماماً لما تشير إليه الملاحظة أو أنها بارعة في إخفاء الحقيقة، على أي حال لا يمكن استجوابها في هذه اللحظة بالذات، تركها وعاد إلى المكتبة قائلاً بصوت يحمل نبرة تصميم جديدة: توماس انسى الزر والملاحظة في الوقت الحالي سنعود إليهما لاحقاً، ما يهم الآن هو معرفة ما الذي يمكن أن يكون السيد كروسبي قد أخذه من شخص ما..

ونظر كروس حول المكتبة مرة أخرى وعيناه تمسحان كل زاوية كل رف كتب: هذه المكتبة هي مفتاحنا، كروسبي كان يقضي معظم وقته هنا، إذا

كان قد أخذ شيئاً مهماً لدرجة أن شخصاً ما سيقتله بسببه، فمن المرجح أنه كان يحتفظ به هنا، أو أن هناك دليلاً عليه هنا..

الفكرة هنا هي أن يركز كروس وتوماس على البحث بشكل مكثف عن مكان سري، أو خزانة مخفية، أو حتى رسائل، وثائق مهمة جداً داخل المكتبة نفسها؟

بعد فحص المكتبة ووضع الملاحظة والزر جانباً قال توماس: دعنا بالأول نستجوب سكان المنزل هاري..

أومأ هاري كروس برأسه قائلاً: حان الوقت لمواجهة سكان المنزل، كانت الزوجة الشابة سارة قد انتهت من استجوابها الأولي، طلب المفتش هاري من صديقه توماس إحضار الآنسة كلوي كروسبي إلى غرفة الرسم، وبعد لحظات دخلت كلوي الغرفة، كانت شابة في أوائل العشرينات من عمرها ذات جمال أخاذ يكسوه الآن شحوب واضح وقلق، عيناها الزرقاوان اللتان تشبهان عيني والدها الراحل ريتشارد كروسبي، كانتا متعبتين ومحمرتين من البكاء، شعرها البني الداكن كان منسدل حول وجهها ويديها تضغط إحداهما على الأخرى بقوة وكأنها تحاول السيطرة على ارتعاش لا إرادي، كانت ترتدي ثوباً منزلياً أنيقاً لكنه بدا متجعداً بعض الشيء مما يوحي بأنها لم تهتم بمظهرها منذ سماع الخبر..

وقف كروس احتراماً فور دخولها قائلاً بصوته الهادئ الذي يحاول أن يبعث الطمأنينة: آنسة كروسبي أنا المفتش هاري كروس وهذا الرقيب توماس نتقدم بأحر التعازي في وفاة والدك..

أومأت كلوي برأسها بضعف وبدت وكأنها تجاهد لعدم الانفجار في البكاء مرة أخرى وتمتمت بصوت بالكاد مسموع: شكراً لكما..

ثم جلست على الأريكة حيث كانت سارة قبلها وتابع كروس: نحن نعلم أن هذا وقت عصيب للغاية، لكننا بحاجة إلى مساعدتك، متى كانت آخر مرة رأيتِ فيها والدكِ على قيد الحياة؟

رفعت كلوي عينيها ونظرت مباشرة إلى كروس وكان هناك مزيج من الحزن والغضب المكبوت وربما بعض التحدي في نظرتها وأجابت وصوتها أكثر قوة هذه المرة: الليلة الماضية، تناولنا العشاء معاً ثم ذهب إلى مكتبته كعادته، لم أتحدث معه بعدها..

وسأل كروس مراقباً تعابير وجهها: وهل لاحظتِ أي شيء غير عادي في سلوكه؟ أي خلافات؟ أو تهديدات؟

ترددت كلوي للحظة ثم تنهدت بعمق: لم يكن هناك أي خلافات خاصة الليلة الماضية لكن.. أبي كان لديه دائماً أعداء في عالم الأعمال لا يمكنك أن

تنجح دون أن تدهس بعض الأصابع و.. كان هناك دائماً توتر في المنزل منذ زواجه الأخير..

قالت الكلمات الأخيرة وهي ترمق الأريكة التي جلست عليها سارة قبل قليل بنظرة ذات معنى وأدرك كروس أن التوتر بين الأبنة والزوجة الشابة سيكون خيطاً مهماً، لم يخرج كروس الزر أو الملاحظة بعد، مفضلاً أن يدع كلوي تتحدث بحرية في البداية..

التقط كروس تلميح كلوي الواضح حول زواج والدها الأخير هذا التوتر العائلي قد يكون دافعاً قوياً أو على الأقل مصدراً لمعلومات حول الدوافع المحتملة للآخرين..

وقال كروس بهدوء بينما كانت عيناه ترصدان كلوي عن كثب: فهمت، أنتِ تشيرين إلى زواج والدكِ من السيدة سارة، كيف كانت علاقتكِ بها آنسة كروسبي؟

ارتعش جسد كلوي قليلاً عند ذكر اسم سارة بدت عليها علامات الإرهاق لكن الغضب بدأ يختلط بالحزن في عينيها، ضغطت على قبضتها التي كانت موضوعة على ركبتيها: علاقتي بسارة؟ كررت السؤال بنبرة حادة تحمل سخرية خفيفة: كانت.. متوترة سيدي المفتش، لم أكن موافقة على هذا الزواج منذ البداية..

توقفت كلوي ثم استطردت وكأنها فتحت سداً لمشاعر مكبوتة: سارة أصغر مني ببضع سنوات فقط! أبي كان رجلاً ثرياً وساذجاً في بعض الأحيان عندما يتعلق الأمر بالنساء، لقد رأيتُ نساء مثلها من قبل يبحثن عن المال، عن الأمان الذي يأتي من اسم كروسبي لا عن الحب الحقيقي، اعتقدتُ دائماً أنها لا تهتم إلا بثرائه..

تمتم توماس وهو يدون في دفتر ملاحظاته: من تكون عائلة كروسبي هذه؟ من تظنون أنفسكم؟

رمق هاري كروس صديقه قائلاً: هل قلت شيئاً توماس؟

هز رأسه علامة النفي دون أن يتحدث وتجمعت الدموع في عينيّ كلوي مرة أخرى لكنها هذه المرة كانت دموع غضب أكثر منها حزن: لقد حاولتُ تحذير أبي مراراً وتكراراً، أخبرته أنها لن تجلب له سوى المتاعب لكنه لم يستمع، كان سعيداً جداً معها أو هكذا بدا له..

نظر كروس إلى توماس الذي كان يكتب كل كلمة، العلاقة كانت أكثر توتراً مما توقعا، هذا يشير إلى صراع محتمل على الميراث أو على الأقل خلافات عائلية عميقة..

وسأل كروس محاولاً تضييق الخناق: هل حدث أي خلاف كبير بينكِ وبين السيدة سارة مؤخراً؟ خاصة فيما يتعلق بأبيكِ أو ثروته؟

هزت كلوي رأسها: لا خلاف كبير بالصراخ أو الشجار العلني لكن التوتر كان موجوداً دائماً، النظرات، الكلمات اللاذعة أحياناً، لم أكن أطيق رؤيتها هنا في بيتنا.. بيتي..

شددت على كلمة بيتي: كانت تظن أنها ستحل محل أمي وهذا لم يكن ليحدث أبداً..

كان من الواضح أن كلوي تحمل ضغينة عميقة تجاه زوجة أبيها هذا يجعلها مشتبهاً بها أو على الأقل شخصاً لديه معلومات قيمة عن النزاعات داخل المنزل..

لاحظ كروس كيف شددت كلوي على كلمة بيتي مما يؤكد أن المنزل والتركة يمثلان لها أهمية كبيرة، حان الوقت الآن لربط الخيوط بين مشاعرها تجاه سارة ومصلحتها في ثروة والدها..

وبدأ كروس ونبرة صوته أصبحت أكثر جدية: آنسة كلوي وفاة والدكِ المفاجئة تعني بالطبع أن مسألة الميراث ستكون مطروحة، هل لديكِ أي علم بخصوص وصية والدكِ الأخيرة وهل كان زواجه الأخير من السيدة سارة قد أثر على وضعكِ أو وضع أي شخص آخر فيما يتعلق بهذه الوصية؟

تجمعت الغيوم في عيني كلوي وبدت وكأنها على وشك الانفجار وقالت بصوت حاد يخلو من الحزن الآن ويملؤه الغضب: الوصية؟ أبي غير

وصيته بعد زواجه من سارة، كانت الأمور واضحة دائماً، كل شيء كان لي، المنزل والثروة كل شيء، ثم جاءت هي!

ضربت كلوي قبضتها بخفة على الأريكة وكأنها تفرغ بعضاً من غضبها: لقد أعطاها جزءاً كبيراً لم أكن أصدق ذلك! بعد كل ما بنيناه كعائلة تأتي هذه الغريبة وتأخذ حصة الأسد!

تمتم توماس مجدداً: معكِ كل الحق آنسة كلوي..

تنحنح كروس وتنهدت كلوي بعمق محاولة استعادة هدوئها لكن صوتها كان لا يزال مشحوناً بالمرارة: لم يكن الأمر يتعلق بالمال فقط سيدي المفتش بل كان يتعلق بالخيانة، الشعور بأن أبي لم يثق بي أو أنه سمح لهذه المرأة بالتلاعب به، لقد كانت تعلم ما تفعله..

سألها كروس بهدوء مستفيداً من اندفاع كلوي: هل ناقشتِ الأمر مع والدكِ؟ هل حدث أي خلاف حول هذا التغيير في الوصية؟

كررت كلوي بسخرية: ناقشت؟ لقد حاولتُ مرات ومرات لكنه كان يرفض الاستماع، كان يقول إنها زوجته الآن ومن حقها أن تحصل على نصيبها، حتى في آخر أيام حياته كان هذا الموضوع يشكل خلاف بيننا وإن لم يكن صراعاً علنياً..

كان هذا اعترافاً مهماً، كلوي لم تخفِ استيائها من الوصية أو من سارة، دافع الميراث أصبح واضحاً ويضع كلوي في دائرة المشتبه بهم بقوة، على الأقل في نظر كروس وتوماس..

بعد أن استمع كروس باهتمام إلى غضب كلوي الواضح بشأن الوصية أدرك أن الوقت قد حان لربطها بالليلة الماضية..

قال كروس بنبرة هادئة لكنها لا تخلو من الجدية: أدرك أن هذا أمر مؤلم لكِ، لكي نستطيع استبعاد أي شكوك نحتاج إلى معرفة مكانكِ بالتفصيل ليلة أمس، متى كانت آخر مرة رأيتِ فيها والدكِ على قيد الحياة وأين كنتِ من بعد ذلك وحتى اكتشاف الجريمة هذا الصباح؟

نظرت كلوي إلى كروس مباشرة وعيناها الواسعتان تومضان بمزيج من التحدي والارتباك: لم أره بعد العشاء كما قلت لك لأنه ذهب إلى المكتبة..

ترددت كلوي للحظة ثم أضافت: بعد ذلك صعدت إلى غرفتي كنت أشعر بالتعب الشديد ولم أكن في مزاج جيد بعد الحديث الذي دار بيننا حول بعض الأمور العائلية..

لم تذكر الوصية مباشرة لكن كروس فهم قصدها: خلدتُ إلى النوم على الفور لم أسمع شيئاً، الضباب كان كثيفاً جداً الليلة الماضية وكان يبتلع كل صوت..

سألها كروس وهو يضغط برفق: هل كنتِ بمفردكِ في الغرفة؟ هل كان هناك أي شخص معكِ أو أي شخص يمكنه تأكيد وجودكِ في غرفتكِ طوال الليل؟

هزت كلوي رأسها ببطء: كنت بمفردي، غرفتي في الطابق العلوي في الجناح البعيد عن المكتبة، لم أسمع أي شيء غير طبيعي حتى سمعت صراخ سارة هذا الصباح، كنت نائمة بعمق..

كان هذا هو الرد المتوقع لم يكن لديها شاهد على مكانها، هذا لا يثبت ذنبها لكنه لا ينفيه ايضاً، كروس أدرك أن هذه نقطة ضعف في شهادتها..

التقط المفتش هاري كروس الزر والملاحظة من حقيبة الأدلة ووضعها على الطاولة الصغيرة بينهما بعيداً عن متناول يدي كلوي لكن بوضوح أمام عينيها، كانت حركاته بطيئة ومحسوبة تهدف إلى إثارة أقصى قدر من رد الفعل، وبدأ كروس ونبرة صوته أصبحت أكثر جدية خالية من أي محاولة لتهدئة الأجواء: عثرنا على هذين الغرضين في المكتبة بالقرب من جثة والدكِ..

أشار إلى زر عرق اللؤلؤ اللامع ودفع الورقة المكتوبة بخط اليد نحوها قليلاً:

" لم يبقَ لي خيار آخر ريتشارد لقد تجاوزت كل الحدود ما أخذته سيُدفن معك "..

كان رد فعل كلوي فورياً ومفاجئاً اتسعت عيناها بشكل كبير وارتجف جسدها بوضوح والدموع التي كانت تحاول كبحها اندفعت بقوة على خديها لكن هذه المرة لم تكن دموع حزن أو غضب بل دموع خوف خالص، بدأت تتنفس بصعوبة وكأن الهواء في الغرفة أصبح خانقاً وتمتمت وصوتها بالكاد مسموع ممزوج بشهقات متقطعة: ما هذا؟ ماذا تعني هذه الكلمات؟ لم أرى هذا من قبل! من كتبها؟

كانت تركز على الملاحظة وتجاهلت الزر تماماً في هذه اللحظة، بدت حائرة ومذعورة حقاً وكأنها ترى شبحاً..

سألها كروس وهو يضغط عليها أكثر مراقباً كل تغيير في تعابير وجهها: هل تعرفين هذا الخط؟ هل هذا الخط يخص والدكِ؟ أم شخص تعرفينه؟

هزت كلوي رأسها بعنف: لا لا أعرف هذ الخط! ليس خط أبي ولا أعرف أي شخص يكتب بهذا الشكل!

تابع كروس مع إبقاء نبرته ثابتة: وماذا عما أخذته سيُدفن معك؟ هل تعلمين شيئاً عن شيء أخذه والدكِ من شخص ما، شيء قد يدفع أحدهم لقتله؟

تنهدت كلوي ووضعت يديها على وجهها محاولة السيطرة على دموعها وارتجافها: أبي.. أبي كان لديه الكثير من.. الأعمال وربما.. ربما كان

لديه أسرار لا أعرفها؟ لكنني لا أعلم شيئاً عن هذا أقسم لكما سيدي المفتش لا أعلم شيئاً!

كان رد فعلها مختلفاً هذه المرة لم يكن غضباً أو مرارة بل خوفاً واضحاً وقلقاً، هل كانت صادقة في عدم معرفتها أم أنها تخفي شيئاً أكبر بكثير، كروس لم يقتنع بعد..

أنهى المفتش كروس استجوابه مع الآنسة كلوي كروسبي على الرغم من دمعاتها وادعاءاتها بعدم المعرفة إلا أن رد فعلها على الملاحظة كان مثيراً للريبة بشكل كافٍ ليضعها بقوة في دائرة الشك، لقد قدمت دافعاً قوياً للميراث ولكنها لم تستطع تقديم إجابة مقنعة بشأن مكانها ليلة الجريمة أو تفسير وجود الزر والملاحظة..

نهض كروس من مقعده وقال بينما كانت كلوي لا تزال تحاول استعادة هدوئها: توماس أعتقد أن هذا يكفي من الآنسة كلوي في الوقت الحالي، سنعود إليها لاحقاً..

أومأ توماس وهو يغلق دفتر ملاحظاته: من التالي هاري؟

فكر كروس للحظة وعيناه تتجولان في غرفة الرسم الفاخرة: لننتقل إلى السيد إلياس فينش صديق الضحية المقرب وشريكة القديم، هذا الرجل

يمكن أن يحمل مفتاحاً لفهم ماضي السيد كروسبي وعلاقاته، وربما ما الذي قد يكون أخذه؟

صداقة طويلة الأمد غالباً ما تخفي وراءها أسراراً عميقة سواء كانت ديوناً أو خلافات على صفقات أو حتى غيرة، إلياس فينش كونه شريكاً سابقاً من المرجح أن يعرف عن أعمال ريتشارد كروسبي أكثر من زوجته الشابة وابنته..

وطلب هاري كروس من صديقه توماس إحضار السيد إلياس إلى غرفة الرسم، بعد لحظات دخل رجل في أواخر الخمسينات أو أوائل الستينات ذو مظهر أنيق يرتدي بدلة داكنة رغم الساعات المبكرة من الصباح، كان شعره الفضي مرتباً بعناية وعيناه الزرقاوان حادتان لكنهما كانتا تحملان تعابير قلق خفي، لم يكن يبدو عليه أثر البكاء بل نوع من التوتر والترقب، كان يمسك بيده حقيبة جلدية صغيرة..

وقف كروس احتراماً فور دخوله وقال بنبرة مهذبة: أنا المفتش هاري كروس وهذا الرقيب توماس أقدم لك خالص التعازي في وفاة السيد كروسبي، نعلم أنكما كنتما صديقين مقربين..

أجاب إلياس فينش بصوت عميق ومتحكم رغم نبرة الحزن الواضحة فيه: شكراً لك أيها المفتش، لقد كانت صدمة مروعة، ريتشارد كان صديقاً عزيزاً وشريكاً قديماً، ما الذي حدث بالضبط؟

أجاب كروس: هذا ما نحاول اكتشافه سيدي، نحن نجمع المعلومات من كل من كانوا على صلة بالسيد كروسبي، متى كانت آخر مرة رأيتَ فيها السيد كروسبي؟

أجاب إلياس على الفور: الليلة الماضية، تناولنا العشاء معاً هنا في المنزل كان اجتماعاً عملياً في معظمه، ناقشنا بعض الاستثمارات القديمة وغادرت حوالي الساعة الحادية عشرة مساءً..

سأل كروس: وهل بدا عليه أي شيء غير عادي؟ أي توتر، قلق، أو خلافات مع أي شخص؟

تردد إلياس للحظة ثم تنهد: ريتشارد كان.. ريتشارد كان دائماً شخصية قوية وفي بعض الأحيان عنيداً، كانت لدينا بعض الخلافات البسيطة حول بعض الصفقات القديمة، لكن لا شيء يمكن أن يقود إلى شيء كهذا! لا يمكنني تصديق ذلك..

تابع كروس أسئلته وعيناه مثبتتان على إلياس: هل كان السيد كروسبي يواجه تهديدات؟ هل ذكر لك شيئاً عن أي شخص قد يرغب في إيذائه أو أن لديه أعداء؟

نظر إلياس حوله ثم إلى كروس: في عالمنا أيها المفتش هناك دائماً من يكره النجاح، ريتشارد كان لديه منافسون كثر لكن التهديدات المباشرة بالقتل؟

لا لم يذكر لي أي شيء من هذا القبيل، إذا كان هناك شيء فهو لم يشاركه معي..

بينما كانت إجابات إلياس تبدو منطقية إلا أن هاري كروس لاحظ قلقه المبطن ونبرة صوته التي كانت تحاول أن تبدو طبيعية أكثر من اللازم..

بعد أن قدم إلياس فينش إجابات عامة ومراوغة حول التهديدات والخلافات قرر كروس أن يضغط على النقطة الأكثر حساسية في علاقتهما، المال والعمل..

بدأ هاري كروس وهو يميل إلى الأمام قليلاً: سيد فينش لقد ذكرتَ أنكما كنتما تناقشان بعض الاستثمارات القديمة الليلة الماضية وأنه كانت لديكما بعض الخلافات البسيطة حول بعض الصفقات القديمة، هل يمكنك أن تكون أكثر تحديداً حول هذه الخلافات؟ هل كانت خلافات مالية جوهرية؟ وهل كانت هناك أي ديون مستحقة عليكَ أو على السيد كروسبي تجاه الطرف الآخر؟

نظر إلياس فينش إلى كروس بنظرة حادة وبدت عليه علامات التوتر أكثر وضوحاً هذه المرة، شد قبضته على حقيبته الجلدية وبدا صوته أكثر توتراً: الاستثمارات القديمة كانت.. كانت مجرد نقاشات روتينية أيها المفتش، أي شريكين قديمين في العمل يكون لديهما خلافات لا شيء شخصياً، لقد عملنا معاً لعقود..

تابع كروس بثبات يرى أن إلياس يحاول التهرب: لكنني سألت عن التفاصيل سيد فينش، هل كانت هناك أية أموال كبيرة، أو صفقات معلقة أو مشاريع فاشلة أدت إلى خسائر لأحدكما؟ هل كان السيد كروسبي مديناً لك بأي شيء، أو العكس؟

تنهد إلياس بعمق وبدا وكأنه يصارع نفسه لكي يختار كلماته بعناية: كانت هناك.. بعض المشاريع التي لم تسر على ما يرام في السنوات الأخيرة وريتشارد.. ريتشارد كان دائماً يمتلك الأصول الأكثر قيمة لكنه كان سريعاً في اتخاذ القرارات دون استشارتي أحياناً، كان هناك بعض.. الإحباط من جانبي بخصوص بعض تلك القرارات..

سأل كروس مباشرة: وهل أدت هذه القرارات إلى خسائر مالية كبيرة لك سيد فينش؟

تردد إلياس مرة أخرى: لا.. لا يمكنني القول إنها خسائر كبيرة لكنها لم تكن مثالية، وريتشارد.. ريتشارد كان يعرف ذلك لكن لم تكن هناك ديون شخصية بيننا كل شيء كان على الورق ضمن الشركات..

كانت إجابات إلياس متجنبة وواضحة في توترها وكروس يشعر بأن هناك شيئاً أكثر مما يقوله إلياس وأن الخلافات المالية لم تكن بسيطة كما يدعي..

التقط المفتش هاري كروس الزر والملاحظة من على الطاولة ووضعها أمام إلياس فينش، كان إلياس يبدو متوتراً بالفعل بسبب الأسئلة المالية والآن انتبه بشكل كامل للأدلة..

بدأ كروس بنبرة حازمة: سيد فينش عثرنا على هذين الغرضين في المكتبة بالقرب من جثة السيد كروسبي..

أشار إلى زر عرق اللؤلؤ اللامع: هذا الزر..

ودفع الورقة المكتوبة بخط اليد نحوه: وهذه الملاحظة..

معطياً إياه الفرصة لقراءتها: " لم يبقَ لي خيار آخر يا ريتشارد لقد تجاوزت كل الحدود ما أخذته سيُدفن معك "..

حدق إلياس فينش في الزر للحظة ثم انتقلت عيناه إلى الملاحظة بدت عليه علامات الصدمة والذهول اتسعت عيناه وتحول لون وجهه إلى شحوب مفاجئ! ابتلع ريقه بصعوبة ولم يستطع أن ينطق بكلمة، كانت يده التي تمسك بالحقيبة ترتجف بوضوح..

سأله كروس وهو يراقب كل تعبير على وجهه: هل تعرف هذا الزر؟ هل سبق لك أن رأيته من قبل؟ هل ينتمي لك؟

نظر إلياس إلى الزر ثم إلى قميصه ثم إلى سترته: لا.. لا أعتقد ذلك أيها المفتش، لا أظنه يخصني أنا.. لم أرَه من قبل..

كانت كلماته متقطعة وصوته يرتعش بشكل واضح وتابع كروس دافعاً الورقة أكثر نحو إلياس: وماذا عن هذه الملاحظة؟ هل تعرف صاحب هذا الخط؟ وهل تفهم ما تعنيه هذه الكلمات؟ ما أخذته سيُدفن معك؟

ارتعش جسد إلياس بالكامل والتقطت يده الملاحظة ومرر أصابعه على الكلمات المكتوبة وكأنه يحاول استيعابها وقال بصوت خافت جداً: لا.. لا أعرف هذا الخط لكن.. هذه الكلمات.. إنها.. إنها مخيفة..

بدأ إلياس فينش يلهث قليلاً وبدت عليه علامات ضيق التنفس: أنا.. أنا لا أعرف ما تتحدث عنه هذه الملاحظة، ريتشارد.. لم يخبرني أبداً عن أي شيء من هذا القبيل، هذا لا يمكن أن يكون..

توقف عن الكلام وعيناه ثابتتان على الملاحظة وكأنه يرى فيها شيئاً أكثر مما يقول، كان رد فعله مختلفاً تماماً عن رد فعل سارة، سارة كانت مذعورة ومضطربة بينما إلياس كان يبدو وكأن صدمة قوية قد أصابته وكأنه يفهم دلالة الكلمات أكثر مما يدعي، رد فعل إلياس فينش المذعور على الملاحظة يجعله مشتبهاً به رئيسياً لكن كروس يفضل جمع المزيد من المعلومات قبل الضغط عليه أكثر..

أدرك كروس أن إلياس يعرف شيئاً عن محتوى الملاحظة حتى لو كان ينكر ذلك، صدمته الحقيقية وارتجاف يده كشفا عن فهم أعمق للكلمات من

مجرد مشاهدة أولية لكن كروس كان بحاجة إلى تجميع المزيد من القطع من أحجية ريتشارد كروسبي قبل أن يضغط على إلياس مرة أخرى..

قال هاري كروس ونبرة صوته عادت إلى جدية خالية من أي ليونة: سيد فينش لقد تحدثنا عن خلافاتك المالية مع السيد كروسبي وعن رد فعلك على الملاحظة التي عثرنا عليها، الآن أريد أن اسألك عن شيء بالغ الأهمية، أين كنتَ بالتحديد ليلة أمس بعد أن غادرتَ ريفينزوود هاوس في حوالي الساعة الحادية عشرة مساءً؟

نظر إلياس إليه مباشرة وبدت عليه علامات الانزعاج وعبس قليلاً وكأنه يفكر في إجابته بعناية فائقة: كما ذكرت سابقاً أيها المفتش غادرتُ المنزل حوالي الساعة الحادية عشرة مساءً..

بدأ صوت إلياس أصبح أكثر تحكماً لكن كروس لاحظ لمحة من العصبية في قبضته التي شدت على الحقيبة الجلدية: عدتُ مباشرة إلى منزلي في لندن الرحلة تستغرق حوالي ساعة ونصف إلى ساعتين بالسيارة في هذا الوقت من الليل خاصة مع الضباب الكثيف الذي كان يلف الطرق..

سأله كروس مستشعراً أن هناك شيئاً غير مكتمل في القصة: وهل ذهبتَ مباشرة إلى الفراش بمجرد وصولك؟ هل كان هناك أي شخص معك في المنزل يمكنه تأكيد وصولك ومكانك بعد ذلك؟

تردد إلياس للحظة طويلة ونظر حوله وكأنه يبحث عن مخرج: لا أيها المفتش، زوجتي في زيارة لأختها في الريف والخادمة ذهبت في إجازة، كنتُ بمفردي في المنزل دخلتُ تناولتُ كأساً من الشاي ثم صعدتُ إلى غرفتي ونمت..

قال توماس هامساً: ماذا يعني شرب الشاي في ساعة متأخرة من الليل؟

نظر هاري إلى صديقه وقد سمع ما قاله جيداً: ألا تقوم بفعل ذلك أحياناً؟

هز رأسه قائلاً: طبعاً لا، عندها لن أستطيع النوم جيداً..

عاد هاري إلى إلياس وكانت الإجابة واضحة لا يوجد شاهد يؤكد مكان إلياس فينش بعد مغادرته المنزل وهذا يجعله في نفس موقف سارة وكلوي، كروس أدرك أن هذا النمط من عدم وجود شهود على مكان الوجود هو أمر يجب ملاحظته بدقة..

وسأل كروس وعيناه مثبتتان على إلياس: هل أنت متأكد أنك لم تعد إلى المنزل لأي سبب سيد فينش؟ هل هناك أي شيء فاتك في رحلتك؟ أي توقفات؟

هز إلياس رأسه بقوة: لا أيها المفتش لم أتوقف عدتُ مباشرة إلى المنزل وبقيتُ هناك طوال الليل، أنا متأكد من ذلك..

على الرغم من إصرار إلياس فإن عدم وجود شاهد يجعله مشتبهاً به بقوة خاصة بالنظر إلى رد فعله على الملاحظة ودوافعه المالية المحتملة..

وقال بهدوء بينما كان إلياس لا يزال يحاول استعادة رباطة جأشه: توماس أشكر السيد فينش على وقته واطلب منه البقاء في المنزل، سنعود إليه لاحقاً..

أومأ توماس وهو يغلق دفتر ملاحظاته: من برأيك سيكون التالي الآن؟

فكر كروس للحظة وعيناه تلمعان بتفكير عميق: دعنا ننتقل إلى السيد آرثر كروسبي شقيق الضحية، الأشقاء غالباً ما يمتلكون أسراراً عائلية لا يعرفها الآخرون، وقد يكون لديه فكرة عما أخذه ريتشارد خاصة إذا كان الأمر يتعلق بالميراث أو أعمال العائلة القديمة، كما أنه قد يكشف لنا عن ابنه جاك الذي يعاني من اضطراب..

كان الشقيق عادةً ما يكون على دراية بالجانب المالي والشخصي من حياة أخيه مما يجعله مصدراً محتملاً للمعلومات حول الدوافع الكامنة وراء الجريمة..

وطلب من توماس إحضار السيد آرثر كروسبي، بعد لحظات دخل رجل في أواخر الخمسينات يبدو أكبر سناً وأقل حيوية من أخيه الراحل ريتشارد، كان وجهه شاحباً وخطوط القلق محفورة نحو عينيه المتعبتين يرتدي بدلة

تبدو متهالكة بعض الشيء وشعره الخفيف مبعثر، كان يحمل عصا مشي لكنها بدت وكأنها تستخدم للسند النفسي أكثر منها للحاجة الجسدية، كان واضحاً أنه يعاني من نوع من الضغط أو الحزن المكبوت..

وقف كروس احتراماً وقال بنبرة هادئة: أنا المفتش هاري كروس وهذا الرقيب توماس، نعتذر لإزعاجك في هذا الوقت العصيب ولكننا نحتاج إلى مساعدتك في فهم ما حدث لأخيك..

تنهد آرثر بعمق وجلس على الأريكة بصعوبة: لا أصدق ما حدث! ريتشارد أخي، من يمكن أن يفعل هذا؟

صوته كان ضعيفاً ومفعماً بالحزن لكن كروس لاحظ أيضاً نبرة من اليأس أو الاستسلام..

أجاب كروس: هذا ما نحاول اكتشافه سيدي، متى كانت آخر مرة رأيتَ فيها أخاك السيد ريتشارد؟

أجاب آرثر وعيناه تتجولان في الغرفة: ليلة أمس تناولنا العشاء معاً أنا وريتشارد وإلياس وسارة وكلوي وجاك، بعد العشاء ظل ريتشارد في المكتبة كعادته، صعدت أنا وجاك إلى جناحينا ولم أرَه بعدها..

سأله كروس: وهل لاحظت أي شيء غير عادي في سلوك أخيك؟ أي خلافات، أي قلق، أو أي تهديدات؟

تردد آرثر للحظة ثم هز رأسه ببطء: ريتشارد كان.. ريتشارد كان دائماً رجلاً لا يشارك مشاكله، كان لديه أسلوبه الخاص في كل شيء، بالطبع كانت هناك خلافات بيننا كأي أخوين لكن لا شيء يصل إلى هذا الحد..

بدا آرثر متحفظاً لا يقدم معلومات بسهولة، وكروس شعر بأن هذا الرجل لديه الكثير ليخفيه أو أنه معتاد على كتمان الأسرار..

شعر كروس بأن آرثر كروسبي كان يرتدي قناعاً من الحزن الهادئ لكن خلفه يكمن الكثير مما لا يرغب في البوح به، حان الوقت لكي يضغط على الأوتار الحساسة خاصةً بعد المعلومات التي أدلت بها كلوي..

بدا كروس ونبرة صوته أصبحت أكثر حزماً: ابنة أخيك الآنسة كلوي أخبرتنا أن والدها غير وصيته مؤخراً بعد زواجه من السيدة سارة، هل كنتَ على علم بهذا التغيير؟ وهل أثر هذا التغيير على حصتك أو حصة ابنك جاك في ميراث السيد ريتشارد؟

بدت تعابير آرثر كروسبي وكأنها تصارعت مع بعضها البعض، لمحة من الانزعاج ثم مرارة وأخيراً استياء مكبوت، تنهد بعمق ثم نظر إلى كروس مباشرة ولكن بنظرة متعبة وقال بصوت أجش: نعم كنت أعلم، ريتشارد كان لديه دائماً نزواته الخاصة وقد أثر هذا التغيير علينا جميعاً، لم أكن أوافق على زواجه هذا من البداية، سارة صغيرة جداً وريتشارد كان.. كان يجب أن يكون أكثر حكمة..

سأله هاري كروس مصمماً على الحصول على إجابة واضحة: ولكن هل أثر التغيير على ميراثك أو ميراث جاك بشكل مباشر؟

أجاب آرثر ونبرة صوته قد ارتفعت قليلاً: بالطبع أثر! ريتشارد كان يعتني بنا دائماً خاصة بعد وفاة زوجتي كنت أعتمد عليه في بعض الأمور، جاك.. جاك بحاجة إلى رعاية خاصة وريتشارد كان يوفر له ذلك، لكن بعد تغيير الوصية أصبحت الأمور أكثر تعقيداً، أصبحت سارة هي المستفيدة الأكبر وهذا لم يكن عادلاً..

كان آرثر يشعر بالظلم بوضوح، كشفه هذا يضع دافعاً محتملاً آخر في الصورة، ليس فقط له بل ربما لجاك أيضاً، إذا كان يشعر بأن ولده قد تضرر..

التقط كروس فوراً تلميح آرثر حول حاجة جاك إلى رعاية خاصة وتأثر وضعه بتغيير الوصية، هذا يضع جاك في الصورة كضحية غير مباشرة لقرارات ريتشارد وربما دافعاً محتملاً..

وقال هاري كروس وهو يعيد ترتيب جلسته ليركز انتباهه بالكامل على آرثر: لقد ذكرتَ أن ابنك جاك بحاجة إلى رعاية خاصة وأن وضع الميراث قد أثر عليه، هل يمكنك أن تخبرني المزيد عن حالة جاك؟ وماذا كان نوع علاقته بعمه السيد ريتشارد؟

تنهد آرثر بعمق وبدت عليه علامات الحزن الشديد وهو يتحدث عن ابنه اختفت المرارة التي ظهرت عند الحديث عن الميراث وحلت محلها نبرة حانية ومقلقة..

بدأ آرثر وصوته أصبح خافتاً: جاك.. جاك يعاني من اضطراب في النمو منذ صغره، إنه ذكي نعم، ولكنه يجد صعوبة بالغة في التعامل مع العالم الخارجي، إنه حسَاس للغاية للضوضاء وللمواقف الاجتماعية، يقضي معظم وقته في جناحه يقرأ أو يرسم، كان ريتشارد.. كان ريتشارد يحبه لكنه كان يفتقر إلى الصبر أحياناً، كان يرى في جاك.. ربما خيبة أمل لأنه ليس مثل باقي أفراد العائلة..

وسأل كروس متذكراً وجود الزر والملاحظة هناك: وهل كان جاك يزور المكتبة كثيراً؟ هل كان لديه سبب لدخولها ليلة أمس؟

أجاب آرثر وهو يهز رأسه: نادراً ما يدخل المكتبة، جاك يفضل عزلته ولا يحب الأماكن المزدحمة بالكتب أو الأوراق، كان يقضي وقته في جناحه الخاص، وهناك مكتبته الصغيرة..

وسأل كروس أيضاً: وهل سمع جاك أي شيء ليلة أمس؟ هل استيقظ في أي وقت؟ هل سمع أي ضوضاء غير طبيعية؟

تردد آرثر مرة أخرى ثم قال بصوت خافت: لا أعرف؟ جاك ينام نوماً عميقاً في العادة وقد يكون تحت تأثير الأدوية التي تساعده على النوم، لم أتحدث معه في هذه التفاصيل بعد..

كان من الواضح أن آرثر يحاول حماية ابنه لكن كروس يدرك أن جاك بالرغم من اضطرابه قد يكون شاهداً مهماً أو حتى متورطاً بطريقة ما دون وعي كامل، وجود شخص يعاني من اضطراب نفسي في المنزل يضيف طبقة أخرى من التعقيد للتحقيق..

أخرج المفتش هاري كروس بهدوء كيس الأدلة الذي يحتوي على الزر من عرق اللؤلؤ ثم الملاحظة المكتوبة بخط اليد، وضعهما على الطاولة أمام آرثر كروسبي، كان آرثر يبدو مرهقاً بالفعل لكن ظهور الأدلة أثار فيه انتباهاً جديداً..

قال كروس بنبرة حازمة: سيد آرثر عثرنا على هذين الغرضين في المكتبة بالقرب من جثة أخيك..

أشار إلى الزر اللامع: هذا الزر..

ودفع الورقة المكتوبة نحو آرثر ليمكنه قراءتها: وهذه الملاحظة: " لم يبقَ لي خيار آخر يا ريتشارد لقد تجاوزت كل الحدود، ما أخذته سيُدفن معك"..

حدق آرثر في الزر أولاً ثم انتقلت عيناه ببطء إلى الملاحظة، بدت عليه علامات الصدمة لكنها كانت صدمة مختلفة عن تلك التي ظهرت على سارة أو إلياس لم تكن ذعراً بل نوعاً من الاعتراف المؤلم وكأن الكلمات أيقظت شيئاً كان يعرفه أو يتوقعه، ابتلع ريقه بصعوبة وعبس وجهه، وسأله كروس وهو يراقب كل تغيير في تعابير وجه آرثر: هل تعرف هذا الزر سيد آرثر؟ هل ينتمي لأخيك أو لشخص تعرفه؟

نظر آرثر إلى الزر بعناية ثم إلى كروس: لا.. لا أعتقد أنه يخص ريتشارد ملابسه كانت دائماً من أفخر الأنواع وهذا الزر لا يبدو من النوع الذي يرتديه..

توقف ثم أضاف بصوت منخفض: لم أره من قبل..

تابع كروس دافعاً الورقة أكثر نحو آرثر: وماذا عن هذه الملاحظة؟ هل تعرف صاحب هذا الخط؟ وهل تفهم ما تعنيه هذه الكلمات؟ ما أخذته سيُدفن معك؟

ارتعش آرثر وأغمض عينيه للحظة وكأنه يتجنب رؤية الكلمات عندما فتحهما كانت عيناه مليئتان باليأس: هذا الخط.. لا لا أعرفه؟ لكن.. لكن الكلمات..

تنهد بعمق ثم قال بصوت متهدج: ريتشارد.. كان لديه أسراره، الكثير من الأسرار، لم يكن يشارك كل شيء حتى معي، أخوه!

ضغط كروس أكثر: هل تعرف شيئاً عن شيء أخذه ريتشارد من شخص ما؟ شيء قد يكون قوياً لدرجة أن يدفع شخصاً لقتله؟

تردد آرثر للحظة طويلة نظر خلالها إلى كروس بنظرة تحمل الكثير من المعاناة الداخلية: لا أستطيع.. لا أستطيع أن أقول على وجه اليقين لكن ريتشارد كان لديه.. كانت لديه صفقات معقدة وبعض الناس.. لم يكن يتردد في استخدام كل ما لديه للحصول على ما يريد حتى لو كان ذلك يعني أخذ شيء ثمين من الآخرين..

بدا واضحاً أن آرثر يعرف أكثر مما يقول وأن الملاحظة قد لامست وتراً حساساً جداً لديه، لم ينكرها بشكل قاطع بل حاول تبرير سلوك أخيه مما يوحي بمعرفته ببعض ممارسات ريتشارد غير الأخلاقية ربما..

شعر المفتش هاري كروس بأن آرثر يعرف أكثر بكثير مما يدعيه بخصوص ماضي أخيه وصفقاته، هذه المعرفة المبطنة تجعل آرثر نفسه مشتبهاً به محتملاً أو على الأقل شخصاً يخفي معلومات حاسمة، حان الوقت الآن لربط هذه المعرفة بالليلة المشؤومة..

قال كروس ونبرة صوته أصبحت جادة للغاية: لكي نتمكن من استبعاد الشكوك نحتاج إلى معرفة مكانك بالتفصيل ليلة أمس، متى كانت آخر مرة رأيتَ فيها أخاك السيد ريتشارد؟ وأين كنتَ من بعد ذلك وحتى اكتشاف الجريمة هذا الصباح؟

بدا آرثر كروسبي متوتراً بشكل واضح، حرك يديه ببطء وكأنه يحاول جمع أفكاره: بعد العشاء كما قلت لك حولي الساعة العاشرة مساءً ذهب ريتشارد إلى المكتبة..

بدا صوت آرثر يحمل ترددا: صعدت أنا وجاك إلى جناحينا في الطابق العلوي كنت متعباً جداً قرأت بعض الشيء ثم خلدت إلى النوم في غرفتي..

سأل كروس مباشرة: وهل كنتَ بمفردك في الغرفة؟ هل كان هناك أي شخص معك؟ أو أي شخص يمكنه تأكيد وجودك في غرفتك طوال الليل؟

تنهد آرثر بعمق ووضع يده على جبهته: كنت بمفردي أيها المفتش، زوجتي توفيت منذ سنوات وجاك.. جاك ينام في غرفته الخاصة، لا يوجد أحد يمكنه تأكيد وجودي..

ثم أضاف بسرعة وكأنه يتوقع السؤال التالي: لم أسمع أي شيء غير طبيعي، غرفتي بعيدة عن المكتبة والضباب كان كثيفاً كما تعلم، لم أستيقظ إلا عندما سمعت صراخ سارة هذا الصباح..

كانت إجابة آرثر متوقعة وتشبه إلى حد كبير إجابة سارة وكلوي، لا يوجد شاهد يؤكد مكان وجوده هذا لا يثبت ذنبه لكنه يضيف إلى قائمة المشتبه بهم الذين لا يمكن استبعادهم بسهولة..

وقرر المفتش هاري كروس أن الوقت قد حان لمواجهة جاك كروسبي، أدرك أن التعامل مع شخص يعاني من اضطراب يتطلب مقاربة مختلفة تتسم بالصبر والملاحظة الدقيقة، طلب كروس من توماس أن يخبر آرثر كروسبي بأنه يرغب في التحدث إلى جاك وأن يحرص على عدم إزعاج الشاب قدر الإمكان، بعد دقائق عاد الرقيب توماس مع آرثر وكان جاك يسير خلف والده مباشرة، جاك كان شاباً في أوائل العشرينات يرتدي ملابس مريحة وعيناه الزرقاوان الكبيرتان كانت تتجولان بسرعة حول الغرفة وكأنه يحاول استيعاب كل شيء دفعة واحدة، بدا شاحباً وخجولاً يشد على أطراف سترته ويصعب عليه التواصل البصري المباشر كان يظهر عليه بوضوح التوتر والقلق..

جلس جاك على الأريكة وجلس والده آرثر بجانبه مباشرة يضع يده على كتفه كدعم، هذا الموقف أشار إلى أن آرثر سيحاول حماية ابنه..

بدأ كروس بصوت هادئ يحاول أن يجعله يشعر بالراحة قدر الإمكان:

جاك أنا المفتش هاري كروس وهذا الرقيب توماس، نحن هنا لأن عمك

السيد ريتشارد قد توفي ونحن نحاول فهم ما حدث، هل تسمح لي أن أطرح عليك بعض الأسئلة؟

نظر جاك إلى كروس ثم إلى والده، أومأ برأسه ببطء لكنه لم يتكلم..

قال آرثر بهدوء وهو يشد على كتف ابنه: جاك يجد صعوبة في التحدث مع الغرباء أيها المفتش..

أجاب كروس: لا بأس فقط أرغب في أن أسمع منه قدر الإمكان، جاك هل كنت نائماً بعمق الليلة الماضية؟ هل سمعتَ أي أصوات غير عادية في المنزل خاصة من المكتبة في وقت متأخر من الليل؟

نظر جاك إلى الأرض ثم رفع عينيه المترددتين إلى كروس وبدأت شفتاه ترتعشان قليلاً وقال بصوت خافت يكاد يكون همساً: الضباب.. الضباب كان كثيفاً جداً يجعل كل شيء.. صامتاً..

ثم تابع وبدأ صوته يصبح أكثر حيوية قليلاً وكأنه يتذكر شيئاً: لكن.. سمعتُ.. سمعتُ شيئاً..

تجمد آرثر مكانه ووجهه تحول إلى قلق بالغ، نظر إلى ابنه بنظرة تحذيرية وكأنه يطلب منه الصمت وكان كروس وتوماس يراقبان هذا التفاعل عن كثب، لقد كشف جاك للتو عن شيء مهم رغم محاولة والده الواضحة لثنيه..

توترت الأجواء في الغرفة وشد آرثر عن كتف ابنه ووجهه يصرخ بالتحذير لكن كروس لم يترك له فرصة للتدخل وسأل بهدوء بالغ وعيناه مثبتتان على الشاب متجاهلاً نظرات آرثر القلقة: ماذا سمعت يا جاك؟ لا تخف، فقط أخبرنا بما سمعت..

رفع جاك رأسه ببطء وتتبع عينا كروس بدا وكأنه يصارع شيئاً ما في داخله، صراع بين الرغبة في التحدث والخوف من العواقب أو ربما من والده، بدأ يتحدث بصوت خافت لكنه كان واضحاً بما يكفي: في منتصف الليل.. استيقظتُ على صوت..

تردد جاك ثم نظر إلى والده بسرعة الذي كان يحاول أن يبدو هادئاً: صوت.. صوت غريب من المكتبة..

ضغط كروس عليه: ماذا كان هذا الصوت يا جاك؟

– كان مثل.. مثل صوت شيء يسقط على الأرض، صلب وثقيل ثم.. ثم سمعتُ صوتاً عالياً.. بل كان أشبه بتنهيدة مكتومة..

توقف جاك وارتعش قليلاً بدا وكأن الصورة تتشكل في ذهنه ببطء: وبعد ذلك.. سمعتُ صوت خطوات.. خطوات سريعة لكنها كانت خفيفة جداً وكأنها.. وكأنها تحاول ألا تُسمع، كانت تتجه نحو.. نحو الباب الخلفي اختفت في الضباب..

تجمد آرثر ويده التي كانت على كتف جاك بدأت ترتجف، لم يحاول مقاطعة جاك هذه المرة لكن وجهه كان شاحباً بشكل مرعب، وسأل كروس وهو يعلم أن هذا قد يكون حاسماً: هل رأيت أي شيء يا جاك؟ هل رأيت من كان؟

هز جاك رأسه ببطء: لا.. كان الظلام والضباب ولم أخرج من غرفتي، كنت.. كنت خائفاً لكنني سمعتُ الخطوات هي.. هي كانت صوت امرأة..

توقفت الكلمات في الغرفة وكرر كروس وعيناه تومضان: صوت امرأة؟

كانت هذه المعلومة جديدة ومهمة للغاية وتضيق دائرة الشكوك بشكل كبير، نظر هاري كروس إلى توماس الذي كان يدون الملاحظات بسرعة جنونية..

توترت الأجواء في غرفة الرسم بشكل غير مسبوق، كلمات جاك الأخيرة هي كانت صوت امرأة، دقت كجرس إنذار في أذن المفتش كروس وعاد بتركيزه الكامل على جاك، كان يعلم أن كل كلمة الآن يمكن أن تكون حاسمة، أخرج كروس الزر اللامع من كيس الأدلة ثم الملاحظة بخط اليد ووضعهما أمام جاك على الطاولة الصغيرة، كان آرثر والد جاك يراقب الموقف بقلق بالغ يكاد لا يتنفس، وقال كروس بصوت خافت محاولاً الحفاظ على هدوئه لكيلا يوتر الشاب أكثر: جاك لقد عثرنا على هذين الغرضين في المكتبة بالقرب من عمك..

أشار إلى الزر ثم دفع الورقة المكتوبة نحو جاك ليراها بوضوح: " لم يبقَ لي خيار آخر يا ريتشارد، بقد تجاوزت كل الحدود، ما أخذته سيُدفن معك"..

نظر جاك إلى الزر أولاً، بدا غير مهتم به أو ربما لم يدرك أهميته لكن عندما انتقلت عيناه إلى الملاحظة تجمد مكانه وتحول وجهه إلى شحوب شديد واتسعت عيناه بشكل مبالغ فيه بدأ يتنفس بسرعة وبدت عليه علامات ضيق في التنفس..

سأل كروس متجاهلاً رد فعله الأولي على الملاحظة ليرى ما إذا كان الزر يثير لديه أي رد فعل: هل تعرف هذا الزر يا جاك؟ هل رأيته من قبل؟ هل هو ملك لعمك؟

هز جاك رأسه بسرعة وكأنه ينفض فكرة الزر من ذهنه: لا.. لا أعرفه.. لا..

ثم عاد نظر جاك إلى الملاحظة كانت يداه ترتجفان وبدأ يغمغم بكلمات غير مفهومة: هذه.. هذه الكلمات..

كانت عيناه مثبتتين على الخط وكأنه يرى فيه شيئاً مألوفاً ومروعاً في آن واحد، وسأل هاري كروس بضغط هادئ: جاك هل تعرف هذا الخط؟ هل هو خط شخص تعرفه؟ من كتب هذه الملاحظة؟

بدأت دموع جاك تنهمر على خديه ورفع يده المرتجفة ببطء وأشار بإصبعه إلى الكلمات المكتوبة على الملاحظة: هذا الخط.. هذا الخط.. إنه خط السيدة سارة..

كانت الكلمات بالكاد مسموعة لكنها كانت واضحة كالصاعقة، آرثر الذي كان يجلس بجانب ابنه شهق بصوت عالٍ ورفع يديه ليغطي فمه ووجهه مصدوم تماماً، توقف كروس وتوماس عن الحركة، كلمات جاك كانت بمثابة قنبلة تغير مسار التحقيق بالكامل، الزوجة الشابة من اكتشفت الجثة هي من كتبت رسالة تهديد مباشرة للضحية..

هذا الكشف يقلب الطاولة تماماً، ما هو انطباع هاري كروس الآن عن السيدة سارة كروسبي؟ وما هي الخطوة التالية التي سيقوم بها؟ هل سيتجه فوراً لمواجهة سارة بهذا الدليل الصادم؟

تذكر المفتش كروس أهمية عمر جاك في تقييم شهادته بينما كان جاك يعاني من اضطراب في النمو فإن عمره الفعلي سيؤثر على كيفية التعامل مع أقواله قانونياً..

قال كروس وهو يعود بنظره إلى والد جاك الذي كان لا يزال شاحباً بعد شهادة ابنه التي تورط سارة: نقطة أخيرة بخصوص جاك، ما هو عمره بالضبط؟

تنهد آرثر وبدا عليه التعب: جاك يبلغ من العمر واحد وعشرين عاماً أيها المفتش، لقد بلغ سن الرشد قبل بضعة أشهر..

هذه المعلومة كانت حاسمة، جاك لم يكن طفلاً صغيراً يمكن التشكيك في قدرته على التمييز بسهولة على الرغم من اضطرابه إلا أن شهادته بصفته بالغاً ستكون ذات وزن أكبر بكثير في المحكمة وخصوصاً وأنها كانت حاسمة في تحديد خط سارة..

الآن بعد أن عرف المفتش هاري كورس عمر جاك وأكدت شهادته أن خط الملاحظة هو خط سارة كروسبي، وقد سمع جاك صوت امرأة تغادر المكتبة أصبحت الصورة أوضح بكثير لكن مع هذا يجب استجواب كل من في المنزل أولاً..

طلب المفتش كروس من صديقه توماس إحضار السيدة بيرتا مدبرة المنزل إلى غرفة الرسم، بعد لحظات دخلت امرأة في الخمسينات من عمرها ذات ملامح قوية ويدين خشنتين تدلان على سنوات من العمل الشاق، كانت ترتدي زي الخادمة التقليدي ولكن كان هناك شيء في وقفتها يوحي بالصمود والولاء، عيناها الداكنتان تراقبان كروس وتوماس بحدة وكأنها تقيم الموقف قبل أن تفتح فمها، لم تكن تبدو عليها علامات البكاء بل نوع من العبوس والقلق..

وقف كروس احتراماً بينما ظلت السيدة بيرتا واقفة تشد يديها أمام خصرها، قال كروس بنبرة هادئة ومحترمة: أنا المفتش هاري كروس وهذا الرقيب توماس، أدرك أن هذا يوم مروع لكِ ولسكان المنزل ونحن هنا لمساعدتكم في فهم ما حدث للسيد كروسبي..

قالت السيدة بيرتا بصوت عميق ومتحكم لكنه يحمل نبرة من الحزن الخفي: لقد عملتُ هنا لأكثر من عشرين عاماً، رأيتُ كل شيء في هذا المنزل، لم أكن لأتخيل يوماً أن يحدث شيء كهذا للسيد ريتشارد..

أجاب كروس: نحن نقدر ولاءكِ سيدة بيرتا، نحن نعلم أنكِ كنتِ أول من وصل إلى السيدة سارة بعد اكتشافها الجريمة، هل يمكنكِ ان تخبرينا بالتفصيل عن تلك اللحظة؟

بدأت السيدة بيرتا وعيناها تتجولان في الغرفة: كنت في المطبخ أعد الشاي فجأة سمعت صرخة مدوية، لم تكن صرخة عادية كانت صرخة.. مليئة بالرعب عرفتُ على الفور أن شيئاً فظيعاً قد حدث، هرعت إلى المكتبة ووجدت السيدة سارة هناك ترتجف وتبكي بجانب جثة السيد ريتشارد، كان المنظر.. كان مروعاً..

توقفت للحظة ثم تابعت: اتصلتُ بالشرطة على الفور ثم حاولت تهدئة السيدة سارة، كانت في حالة صدمة تامة..

سأل كروس وهو يراقب تعابير وجهها: وهل لاحظتِ أي شيء غير عادي في المنزل الليلة الماضية؟ أي أصوات غريبة أو حركة غير معتادة؟ أو أي شيء غير مكانه في المكتبة؟

ترددت السيدة بيرتا للحظة وبدت وكأنها تفكر بعمق: الضباب كان كثيفاً جداً الليلة الماضية كان يبتلع كل صوت..

وقالت بصوت خافت: لكن.. لا لم أسمع شيئاً غير عادي حتى صرخة السيدة سارة هذا الصباح، كل شيء كان هادئاً بشكل غير عادي..

كانت إجابتها تبدو صادقة لكن كروس شعر بأنها كانت تراقب عن كثب وأن عينيها لم تفوت الكثير..

شعر المفتش هاري كروس أن السيدة بيرتا تراقب كل شيء وأنها تمتلك نظرة ثاقبة على ديناميكيات المنزل، بعد أن استمع إلى روايتها الهادئة عن اكتشاف الجريمة حان الوقت ليستغل موقعها كشاهد محايد وداخلي..

قال كروس محافظاً على نبرة احترامه: سيدة بيرتا لقد عملتِ في هذا المنزل لسنوات عديدة ورأيتِ جميع أفراد الأسرة يكبرون ويتفاعلون، كيف كانت علاقة السيد ريتشارد ببقية سكان المنزل؟ وكيف كانت علاقاتهم ببعضهم البعض؟ أقصد السيدة سارة والآنسة كلوي والسيد آرثر والسيد جاك وحتى السيد إلياس فينش عندما كان يزورهم..

تنهدت السيد بيرتا ونظرت إلى كروس بنظرة خبيرة، بدا وكأنها تجمع أفكارها وتختار كلماتها بعناية وكأنها تروي قصة طويلة ومعقدة..

بدأت بيرتا ونبرة صوتها حازمة: السيد ريتشارد كان السيد، وكان هو من يدفع الفواتير، كان يعتقد أنه يملك كل شيء بما في ذلك عائلته، لم يكن سيئاً لكنه كان.. متحكماً..

وتابعت: السيد سارة جاءت إلى هذا المنزل كصاعقة، كانت السيدة الجديدة، الآنسة كلوي لم تحبها قط، كان هناك توتر دائم بينهما، كلوي تشعر أن سارة أخذت مكان والدتها وأخذت حصتها من أبيها، كانت هناك نظرات حادة، وكلمات قليلة، لكن الغضب كان واضحاً..

واستطردت وقد بدت عليها لمحة من الشفقة: السيد آرثر شقيق السيد ريتشارد كان دائماً في ظل أخيه، ريتشارد كان الناجح وآرثر كان.. المتطلب، كان يعتمد على ريتشارد كثيراً خاصة بسبب جاك، وهذا الاعتماد أدى إلى بعض الاستياء من جانب السيد ريتشارد أحياناً، العلاقة كانت معقدة، مليئة بالمساعدة لكن أيضاً بالاستياء الخفي..

وقالت بنبرة حانية: أما السيد جاك كان الطفل، السيد ريتشارد كان يحبه بطريقته لكنه لم يكن يفهم جاك تماماً، جاك المسكين يعيش في عالمه الخاص، أحياناً كان يخاف من عمه خاصة عندما يكون السيد ريتشارد غاضباً..

واختتمت بيرتا: والسيد فينش كان صديق السيد ريتشارد القديم وشريكه، كانوا يتحدثون كثيراً عن الأعمال لكن في الآونة الأخيرة لاحظتُ أن هناك بعض الخلافات الشديدة بينهما، خاصة عندما يتعلق الأمر بالمال، كانوا يرفعون أصواتهم في المكتبة في بعض الأحيان وكان السيد فينش يبدو غاضباً عندما يغادر..

كانت شهادة بيرتا لا تقدر بثمن، لقد رسمت صورة معقدة للعلاقات داخل المنزل مليئة بالتوترات الخفية والضغائن المكبوتة، ووضعت دوافع محتملة لكل شخص في المنزل..

لقد كشفت عن شبكة معقدة من التوترات والدوافع المحتملة، حان الوقت الآن لربط ملاحظاتها الحادة بالأدلة المادية التي عثر عليها في مسرح الجريمة..

أخرج بعناية الزر المصنوع من عرق اللؤلؤ من كيس الأدلة الشفاف ووضعه على الطاولة أمام السيدة بيرتا وقال وهو يراقب تعابير وجهها عن كثب: عثرنا على هذا الزر في المكتبة بالقرب من جثة السيد ريتشارد، هل سبق لكِ أن رأيته من قبل؟ هل ينتمي للسيد ريتشارد أو لأحد من سكان هذا المنزل؟ أو لأي من زواره؟

أمالت السيدة بيرتا رأسها قليلاً وأخذت تنظر إلى الزر بتمعن، مرت لحظات صمت وبدت وكأنها تستدعي ذكريات قديمة، ثم هزت رأسها

ببطء ونبرة صوتها تحمل بعض الحيرة: لا أيها المفتش لم أرَ هذا الزر من قبل..

وقالت بحزم: السيد ريتشارد كان يرتدي دائماً ملابس فاخرة وأزراره كانت من نوع مختلف تماماً، ولا أعتقد أنه يخص الآنسة كلوي أو السيد آرثر، أرى ملابسهم كل يوم تقريباً..

توقفت للحظة ثم تابعت وعيناها تضيقان قليلاً: بالنسبة للزوار.. لا يمكنني الجزم، لكن السيد إلياس فينش الشريك القديم لديه دائماً أزرار لامعة على سترته، لكني لا أتذكر أنني رأيت زراً بهذا الشكل تحديداً، إنه مميز بعض الشيء..

كان ردها مهماً، لم تتعرف على الزر لكنها قدمت ملاحظة دقيقة حول نوعية ملابس السيد ريتشارد وأشارت بشكل غير مباشر إلى إلياس فينش كشخص يرتدي أزراراً لامعة، هذا يربط الزر المحتمل بمشتبه به آخر..

بعد أن أعاد المفتش هاري كروس الزر إلى كيس الأدلة التقط بحذر الورقة القديمة المطوية، كانت يداه ثابتتين بينما يكشف عن الكلمات المكتوبة عليها: " لم يبقَ لي خيار آخر يا ريتشارد، لقد تجاوزت كل الحدود، ما أخذته سيُدفن معك "..

وقال ونبرة صوته أصبحت أكثر جدية: والآن سيدة بيرتا عثرنا على هذه الملاحظة مخبأة خلف الكتب في المكتبة، هل تعرفين صاحب هذا الخط؟ وهل لديكِ أي فكرة عما قد تعنيه هذه الكلمات؟

حدقت السيدة بيرتا في الملاحظة وبدأت عيناها الواسعتان تضيقان وعبست ملامح وجهها، كان هناك صراع داخلي واضح في تعابيرها، مزيج من الصدمة والمعرفة الخفية، ترددت للحظة طويلة ثم أخذت نفساً عميقاً وقالت بصوت خافت وكأنها لا تصدق ما تراه: هذا الخط.. نعم أيها المفتش، أعرف هذا الخط جيداً..

نظر كروس وتوماس إلى بعضهما البعض، كانت اللحظة حاسمة..

سألها كروس مباشرة وعينه مثبتة عليها: لمن يعود هذا الخط يا سيدة بيرتا؟

أغمضت السيدة بيرتا عينيها للحظة ثم فتحتهما وبدت عليها ملامح الاستسلام للأمر الواقع: إنه خط السيدة سارة كروسبي..

كان تأكيد السيدة بيرتا لشهادة جاك بمثابة صدمة في الغرفة! لقد أصبح الشك الآن يقيناً، زوجة الضحية هي من كتبت رسالة تهديد له..

- وهل تعرفين شيئاً عما أخذه السيد ريتشارد من السيدة سارة والذي جعلها تكتب هذه الكلمات؟

هزت السيدة بيرتا رأسها ببطء وعيناها مليئتان بالحزن: لا أستطيع أن أقول على وجه اليقين أيها المفتش، لكن هناك الكثير من الأسرار في هذا المنزل، السيد ريتشارد كان لديه الكثير من الأسرار والسيدة سارة كانت تعلم أكثر مما كنا نتخيل..

كانت شهادة بيرتا حاسمة، لقد ثبتت الآن أن سارة كروسبي هي صاحبة الخط مما يجعلها المشتبه بها الرئيسية..

شعر المفتش هاري كروس بقيمة الشهادة التي أدلت بها السيدة بيرتا، لقد كانت حلقة وصل لا تقدر بثمن في الكشف عن شبكة العلاقات المعقدة وتقديم الدليل القاطع على أن خط الملاحظة يعود للسيدة سارة، الآن حان الوقت لختم استجوابها بسؤال لا يمكن التهرب منه..

- سيدة بيرتا أدرك أنكِ قدمتِ لنا معلومات حيوية ونحن نقدر ذلك ولكن لكي نغلق جميع الجوانب نحتاج إلى معرفة مكانكِ بالتحديد ليلة أمس، متى كانت آخر مرة رأيتِ فيها السيد ريتشارد كروسبي وأين كنتِ من بعد ذلك وحتى اكتشاف الجريمة هذا الصباح؟

نظرت السيدة بيرتا إلى كروس بتمعن وكأنها كانت تتوقع هذا السؤال، لم تبدو متوترة كبقية أفراد الأسرة بل هادئة وواثقة تقريباً..

بدأت بالإجابة وصوتها رزين: آخر مرة رأيتُ فيها السيد ريتشارد كانت بعد العشاء، كان في المكتبة كما هو الحال دائماً في المساء، ذهبت إلى غرفتي في جناح الخدم في الطابق الخلفي من المنزل، أتناول عشاءي دائماً بمفردي في المطبخ ثم أخلد إلى النوم مبكراً، ذهبتُ إلى فراشي حوالي الساعة التاسعة والنصف مساءً..

وسأل كروس: وهل كنتِ بمفردكِ في جناح الخدم؟ هل يوجد أي شخص آخر يمكنه تأكيد وجودكِ هناك طوال الليل؟

أجابت السيدة بيرتا: أنا الخادمة الوحيدة المقيمة هنا، الخادمة الأخرى تأتي في الصباح، كنتُ بمفردي طوال الليل، استيقظت في الخامسة والنصف وذهبت إلى المطبخ، وبعد نصف ساعة تقريباً أتت سارة وطلبت مني إعداد الشاي، وذهبت وبعد دقائق قليلة سمعت صرخة السيدة سارة..

سأل كروس وهو يضغط عليها مجدداً بخصوص النقطة التي كان جاك قد ذكرها: وهل سمعتِ أي شيء غير عادي من المكتبة؟ أو من بقية المنزل في وقت متأخر من الليل غير صرخة السيدة سارة هذا الصباح؟

هزت السيدة بيرتا راسها ببطء: لا أيها المفتش لم أسمع شيئاً، الضباب كان كثيفاً جداً كما تعلمون وكان يجعل كل الأصوات خافتة، غرفتي بعيدة عن المكتبة، وأنام نوماً عميقاً في العادة..

كانت إجابتها منطقية ومباشرة، السيدة بيرتا مثل بقية المشتبه بهم، لا يوجد لديها شاهد يؤكد مكانها ليلة الجريمة، هذا لا يجعلها مشتبهاً بها رئيسياً بالضرورة ولكنه يعني أن روايتها على الرغم من صراحتها الظاهرة، لا يمكن التحقق منها بشكل مستقل..

الآن بعد أن استكمل المفتش هاري كروس استجواب جميع سكان المنزل الرئيسيين والمشتبه بهم المحتملين، سارة، كلوي، إلياس، آرثر، جاك، بيرتا، وجمع معلومات حاسمة خاصة حول خط سارة في الملاحظة حان الوقت الآن لمواجهة السيدة سارة كروسبي بالدليل القاطع، شهادة جاك وبيرتا بأن الخط خطها..

كان المفتش هاري كروس واثقاً لقد جمع كل الخيوط، الدافع الواضح الميراث موقع سارة المشبوه ليلة الجريمة، لا شاهد والآن الدليل القاطع على تورطها الملاحظة التي كتبتها بخط يدها مؤكدة من قبل شاهدين مستقلين..

وقال وصوته يقطر بالجدية والتصميم: توماس اذهب وأحضر السيدة سارة كروسبي إلى هنا، يجب أن نواجها بهذا الدليل..

عاد هاري كروس إلى المقعد الذي كان يجلس عليه واضعاً الملاحظة والزر أمامه على الطاولة، هذه المرة بشكل أكثر وضوحاً كانت نبضات قلبه تتسارع قليلاً، هذه هي اللحظة التي يرى فيها الوجه الحقيقي للجاني..

بعد لحظات قليلة دخلت السيدة سارة كروسبي الغرفة مرة أخرى كانت تبدو أكثر توتراً من ذي قبل وكأنها تستشعر ثقل الجو، نظرت إلى كروس وتوماس ثم إلى الأدلة على الطاولة ويداها ترتجفان بوضوح..

بدأ كروس ونبرة صوته حادة ومباشرة لا تحمل أي محاولة للتهدئة هذه المرة: سيدة كروسبي لقد تحدثنا سابقاً عن هذه الملاحظة التي عثرنا عليها في المكتبة..

أشار إلى الورقة: لقد أنكرتِ معرفتكِ بها وقلتِ إنكِ لا تعرفين صاحب هذا الخط..

توقفت سارة وعيناها تتجمدان على الملاحظة وتابع كروس وصوته يرتفع قليلاً: لدينا الآن شهود، شهود لا يمكن التشكيك في صدقهم يؤكدون لنا أن هذا الخط، هذا الخط بالتحديد هو خط يدكِ أنتِ يا سارة كروسبي..

رمقها كروس بنظرة حادة بينما كان صديقه توماس يسجل كل كلمة، كانت سارة تنظر إلى الملاحظة ثم إلى كروس ووجهها يتحول إلى شحوب شديد، بدت عليها علامات الصدمة المطلقة وكأنها سقطت في شرك لا مهرب منه، بدأت شفتاها ترتعشان وتمتمت بصوت خافت بالكاد يسمع وكأنها لا تصدق ما تسمعه: ماذا تقول؟ لا.. هذا مستحيل.. أنا.. أنا لم أكتب هذا!

قال كروس لها بحزم مستفيداً من ارتباكها: الكذب لن ينفعكِ الآن سيدة سارة، لقد تجاوزتِ كل الحدود كما تقول الملاحظة، الآن أخبرينا ماذا فعلتِ بريتشارد كروسبي؟ ولماذا؟

سارة ليست بالشخصية التي تنهار بسهولة، ستلجأ إلى الدفاع عن نفسها، محاولةً قلب الطاولة على المفتش هاري كروس حتى لو كانت الأدلة ضدها دامغة..

حدقت سارة كروسبي في الملاحظة ثم في المفتش كروس وعيناها مليئتان بالمزيج من الذعر والغضب، كان وجهها شاحباً لكن نظرتها تحمل تحدياً يائساً، لقد انكشف سرها لكنها لن تستسلم بهذه السهولة..

قالت سارة بصوت حاد تحاول أن تجعل صوتها ثابتاً رغم ارتعاشه الواضح: خط يدي؟ هذا سخيف! أنا لم أكتب هذا أبداً هذه.. هذه مؤامرة ضدي..

نهضت عن مقعدها ويدها ترتجف وهي تشير إلى الملاحظة: من أين أتيتم بهذا؟ ومن هم هؤلاء الشهود الذين تتحدثون عنهم؟ هل هي تلك الفتاة الغيورة التي تكرهني وذلك الولد الذي يعاني من اضطراب لا أعرف ما هو؟ كانت تشير بوضوح إلى كلوي وجاك دون ذكر اسميهما..

تابعت سارة وبدأت ترفع صوتها وكأنها تحاول إقناع نفسها قبل إقناع كروس: ريتشارد كان لديه الكثير من الأعداء، الكثير من الناس الذين كانوا يرغبون في رؤيته ميتاً، هل نسيتم صديقه إلياس فينش الذي كان يتشاجر معه باستمرار بسبب المال؟ أو أخاه آرثر الذي كان يعتمد عليه مالياً ويكرهني لأنني أخذت جزءاً من الميراث؟

ثم عادت ورمت الاتهام مباشرة إلى كروس: لماذا تركزون عليّ أنا بالذات؟ لأنني زوجته الشابة! هل تظنون أنني جشعة؟ لا أعرف شيئاً عما أخذه يا سيدي المفتش، ريتشارد كان لديه أسراره، ربما كان لديه أسرار مع هؤلاء الناس، وربما كتبوا هذه الملاحظة ليوقعوا بي! إنها خدعة قذرة!

كانت كلمات سارة سريعة متقطعة ومليئة باليأس، نظر هاري إلى صديقه توماس كانت سارة تحاول قلب الطاولة متهمة الجميع من حولها ومحاولة زرع الشك في الأدلة، دفاعها كان يائساً لكنه متوقع..

أخذ هاري كورس نفساً عميقاً وسمح لها بالذهاب مؤقتاً إلى غرفتها ليجلس مع صديقه ويجمعا كل الخيوط معاً، هذه الجلسة ستكون حاسمة في بلورة فهمهما للقضية وتحديد الخطوات التالية..

عاد المفتش هاري كروس وصديقه توماس إلى غرفة المعيشة بعد أن انتهيا من استجواب جميع أفراد المنزل وبعد شهادة سارة الأخيرة، أشار كروس لتوماس بالجلوس وفتح دفتر ملاحظاته واستعدا لجمع الأفكار..

بدأ كروس: حسناً يا توماس، ما الذي لدينا حتى الآن؟ لخص لي النقاط الأساسية من كل استجواب..

قام توماس بمسح سريع على ملاحظاته وبدأ:

الزر والملاحظة:

- عُثر عليهما بالقرب من الجثة..
- الملاحظة نصها: " لم يبقَ لي خيار آخر يا ريتشارد، لقد تجاوزت كل الحدود، ما أخذته سيُدفن معك "..
- سارة كروسبي: أنكرت معرفتها بالملاحظة أو الزر في البداية..
- كلوي كروسبي: أنكرت معرفتها بالخط لكنها بدت مذعورة من الكلمات..
- إلياس فينش: أنكر معرفته بالزر لكنه بدا مصدوماً ومرتعباً من الملاحظة..
- آرثر كروسبي: أنكر معرفته بالزر وبدا متفهماً لدلالة الملاحظة حول أسرار ريتشارد وأخذه لأشياء من الآخرين لكنه لم يتعرف على الخط..
- جاك كروسبي: لم يتعرف على الزر لكنه تعرف بشكل قاطع على خط سارة كروسبي في الملاحظة..

- السيدة بيرتا: لم تتعرف على الزر لكنها أشارت إلى أن أزرار إلياس لامعة وأكدت بشكل قاطع أن الخط خط سارة كروسبي..

دوافع محتملة..

- سارة كروسبي: متهمة مباشرة بخط الملاحظة، دافعها المحتمل هو الميراث حيث أصبحت المستفيدة الأكبر بعد تغيير الوصية مما أثار حنق كلوي..
- كلوي كروسبي: دافع قوي جداً بسبب تغيير الوصية وحرمانها من الميراث الذي كانت تتوقعه وكراهيتها الشديدة لسارة..
- إلياس فينش: دافع مالي محتمل بسبب الخلافات حول صفقات قديمة وإحباط من قرارات ريتشارد التي أدت إلى خسائر وفقاً لإلياس..
- آرثر كروسبي: دافع مالي محتمل بسبب تأثر حصته وحصة ابنه جاك من الميراث بعد تغيير الوصية..
- جاك كروسبي: بالرغم من حالته دافع محتمل إذا كان يشعر بالظلم أو الضرر بسبب تصرفات عمه وتأثيرها على والده أو وضعه..

مكان الوجود ليلة الجريمة..

سارة وكلوي وإلياس وآرثر وبيرتا جميعهم يدعون أنهم كانوا بمفردهم ولا يوجد شاهد يؤكد مكانهم بعد الساعة ١١ مساءً تقريباً..

جاك كروسبي سمع صوت شيء ثقيل يسقط، ثم تنهيدة مكتومة، ثم خطوات سريعة لكن خفيفة جداً تتجه نحو الباب الخلفي وقال إنها صوت خطوات امرأة..

نظر كروس إلى صديقه بجدية: إذاً كل الدلائل تشير إلى سارة، خط يدها على الملاحظة وهي المرأة الوحيدة التي سمعها جاك تغادر المكتبة، هذا يجعلها مشتبهاً به رئيسياً، لكن تبقى نقطة " ما أخذته سيُدفن معك "، ما هو هذا الشيء الذي أخذه ريتشارد وكان مهماً جداً لدرجة أن سارة قتلته بسببه؟

ما هو الاستنتاج الرئيسي الذي توصل إليه هاري كروس وتوماس الآن؟ وما هي الخطوة التالية الأكثر إلحاحاً التي يجب أن يتخذاها؟

بعد جلسة جمع النقاط أصبح هاري كروس وتوماس يملكان صورة أوضح بكثير، سارة كروسبي في المشتبه بها الرئيسية وشهادة جاك والسيدة بيرتا حاسمة في ربطها بالملاحظة، لكن "ماذا أخذته" يبقى اللغز الأكبر..

الاستنتاج الرئيسي هو أن سارة كروسبي هي محور القضية الآن، جميع الخيوط تقود إليها لكن كروس كجزء من إجراءاته المنهجية يحتاج إلى دليل مادي يربطها بالدافع الأصلي للملاحظة، ما الذي أخذه وكان يستحق القتل من أجله؟

وقال توماس له: ماذا يمكن أن يكون؟

هز هاري رأسه قائلاً: حالياً لا نعرف ما هو؟ لكننا سنبحث، سنبحث عنه توماس..

– ما رائيك أن نعود إلى المكتبة؟ ربما نجد شيئاً غفلنا عنه..

أومأ برأسه وذهبا معاً إلى المكتبة وقاما بعملية بحث دقيقة وشاملة داخل المكتبة، ربما في أجزاء أخرى من المنزل إلا لزم الأمر للبحث عن هذا الشيء المفقود..

خزائن الكتب والمكاتب: البحث عن أي ألواح خشبية، أو أدراج سرية، أو خلفيات وهمية للكتب، أو صناديق مخفية..

الموقد والمدخنة: قد تكون هناك تجاويف مخفية أو قد يكون الشيء قد ألقي في المدخنة..

الجدران والأرضيات: البحث عن أي علامات على وجود ألواح مخفية أو تجاويف سرية في الجدران أو تحت السجاد..

الأشياء الثمينة الأخرى: صناديق مجوهرات إذا كان شيء قد أخذ منها..

جثة الضحية: مراجعة تقرير الطب الشرعي مرة أخرى لمعرفة ما إذا كان هناك أي شيء غير عادي على جثة ريتشارد أو في ملابسه لم يتم ملاحظته..

بدلاً من انتظار سارة لتعترف سيوجه هاري كروس وصديقه توماس التركيز على العثور على "الشيء المأخوذ" في الكتبة نفسها، هذا هو الدليل المادي الأكثر أهمية في هذه المرحلة وسيدعم بشكل قاطع قضية كروس ضد سارة..

وقال هاري كروس بجدية: هذه المرة لن يكون التركيز على الجثة أو الأدلة الظاهرة بل على البحث عن مكان أو علامات تدل على اختفاء شيء مهم أو ثمين، يعني إعادة فحص شامل للمكتبة..

سأله توماس: أين سنبحث بالتحديد؟

أجابه قائلاً: الخزائن الخفية والأدراج السرية، المكتبات الكبيرة في المنازل القديمة غالباً ما تحتوي على خزائن مخفية أو أدراج سرية في المكاتب، أو حتى تجاويف خلف ألواح الكتب، سنبحث عن أي آليات خفية أو علامات تلاعب، المدفأة مثلاً قد يكون الشيء قد ألقي في المدفأة لإتلافه، أرضيات وألواح الجدران، سنبحث عن أي ألواح أو علامات إزالة أو استبدال حديثة، الأشياء الغريبة أي شيء لا ينتمي إلى المكتبة عادةً أو يبدو وكأنه ترك في عجلة..

أومأ واسطون برأسه قائلاً: "نوع الشيء المأخوذ" المتوقع بناءً على الملاحظة "ما أخذته سيُدفن معك" من المرجح أن يكون شيئاً ذا قيمة كبيرة مالية أو شخصية، يمكن أن يكون مجوهرات، سندات مالية، وصية قديمة، أو حتى رسائل ابتزاز مما يجعل الموت هو السبب الوحيد لإخفائه..

– دعنا نبحث لمعرفة ما قد يكون..

وبعد ساعات من البحث الدقيق والمضني في المكتبة قام هاري كورس وصديقه توماس بقلب المكان رأساً على عقب، فحصوا كل رف، وكل درج، وكل لوح في الأرضية والجدران، بينما كان توماس يفحص لوحة خشبية خلف إحدى الخزائن الكبيرة أضاءت عينا كروس وقال وهو يشير إلى درج سري ضيق ومخفي بمهارة خلف قسم متحرك من مكتب ريتشارد كروسبي الضخم، كان هذا الدرج مصمماً ليصعب اكتشافه..

بداخل الدرج لم يكن هناك مجوهرات أو مال بل كان هناك مجلد جلدي قديم ومغبر يبدو عليه أنه استُخدم كثيراً، التقطه كروس بحذر وفتحه لم تكن وثائق مالية ولا رسائل حب، كانت صفحات المجلد مليئة برسومات تفصيلية وخرائط قديمة وملاحظات مكتوبة بخط يد ريتشارد كروسبي كلها تشير إلى موقع منجم ذهب قديم يعتقد أنه استنزف منذ عقود لكن يبدو أن ريتشارد وجد دليلاً على وجود عُرُوق ذهب غير مكتشفة بعد، كانت هناك أيضاً شهادة ملكية لأراضٍ بعيدة غير معروفة تقع فوق هذا المنجم مسجلة باسم سارة كروسبي قبل زواجها من ريتشارد، وبجانب المجلد كانت هناك رسالة صغيرة مكتوبة بخط ريتشارد نفسه موجهة إلى سارة: سارة أعلم أنكِ تجدين هذا، هذا المنجم هو مستقبلكِ ومستقبلنا، لكن لا يمكن لأحد أن يعرف عنه الآن، عندما يحين الوقت المناسب سنبني إمبراطورية،

احتفظي بهذا السر ولا تثقي بأحد، هذا هو الشيء الوحيد الذي يربطنا حقاً..

تجمد كروس: يا إلهي لقد وجدناها!

فهم هاري كروس الآن، ريتشارد لم يأخذ شيئاً من سارة بمعنى السرقة بل أخذ معرفتها بالمنجم ووثائق ملكيتها وحبسها بعيداً في هذا الدرج محولاً إياها إلى سر مشترك، وسيلة للسيطرة، كانت سارة تعلم بهذا المنجم وريتشارد أخفى عنها الوثائق حتى يفرض سيطرته ويستفيد وحده من توقيت الكشف عنه، الملاحظة "ما أخذته سيُدفن معك" لم تكن تشير إلى السر نفسه بل إلى الوثائق والسيطرة التي مارسها ريتشارد على مستقبل سارة..

لقد وجد هاري كروس المجلد الذي يحتوي على وثائق منجم الذهب المسجلة باسم سارة ورسالة ريتشارد التي تشير إلى سيطرته وتحكمه، هذا يفسر الملاحظة تماماً لكنه لا يعني بالضرورة أن سارة هي من قتلت ريتشارد، ربما كانت الملاحظة تهديداً منها لكن شخصاً آخر استغل الوضع..

هز هاري رأسه قائلاً: إذا لم تكن سارة القاتلة فهذا يعني أن جاك وبيرتا قد صدقوا في أن خط الملاحظة هو خط سارة مما يثبت أن سارة كتبتها، لكن الشخص الذي سمعه جاك يغادر المكتبة بعد الجريمة صوت امرأة،

ربما لم تكن سارة نفسها أو ربما كانت سارة هي من كتبت الملاحظة لكن القاتل الحقيقي استخدمها أو استغل وجودها..

سأله صديقه توماس: أين نذهب الآن يا هاري؟

أجابه قائلاً: إذا لم تكن سارة القاتلة هذا يجعل القضية أكثر تعقيداً وإثارة! يجب عليّ أن أعيد تقييم كل مشتبه به بناءً على هذا الافتراض الجديد..

جلس توماس قائلاً: التركيز على دافع " الشيء المأخوذ " ولكن من منظور مختلف، من كان يعرف بالمنجم السري؟ هل يمكن أن يكون ريتشارد قد شارك هذا السر مع شخص آخر غير سارة، أو أن شخصاً آخر اكتشفه؟

أكمل هاري عنه: إعادة النظر في شهادة جاك، إذا كانت سارة ليست القاتلة فمن هي المرأة الأخرى التي سمعها جاك تغادر المكتبة؟ كلوي أم بيرتا؟ وأيضاً العودة إلى المشتبه بهم الآخرين..

كلوي: دافعها الميراث قوي للغاية وكراهيتها لسارة قد تدفعها لتوريطها، هل كان بإمكانها اكتشاف أمر المنجم؟

إلياس فينش: دافعه المالي قوي، هل كان لديه أي علم بالمنجم السري؟ وهل كانت الملاحظة مجرد وسيلة لقلب القضية على سارة أم أن لديه طريقة خاصة للقتل؟

آرثر كروسبي: دافعه المالي وتأثيره على جاك قوي، هل كان يعرف بالمنجم؟

بعد هذا التطور الجديد قرر المفتش هاري كروس أن يواجه السيدة سارة كروسبي مجدداً ولكن هذه المرة بأسئلة محددة حول المنجم بدلاً من اتهامها بالقتل مباشرة، سيحاول قياس رد فعلها ومعرفة ما إذا كانت تعرف أي شيء عن هذا السر الهائل..

أعاد كروس طلب حضور السيدة سارة كروسبي إلى غرفة الرسم، كانت لا تزال تبدو متوترة لكن كروس لاحظ أن عينيها توقفت للحظة على المجلد الجلدي الذي تركه على الطاولة قبل أن تعيد نظرها إليه..

بدأ هاري كروس بنبرة هادئة ومختلفة عن المواجهة السابقة: لقد عثرنا في المكتبة على هذا المجلد..

دفع المجلد نحوها ببطء: إنه يحتوي على وثائق ورسومات تفصيلية لمنجم ذهب قديم، وشهادة ملكية لأراضٍ مسجلة باسمكِ، كما وجدنا رسالة من السيد ريتشارد موجهة إليكِ تتحدث عن هذا المنجم وتطلب منكِ الحفاظ على سريته..

نظر كروس مباشرة في عينيها: هل كنتِ تعلمين بوجود هذا المنجم؟ وهل كنتِ تعلمين أن ريتشارد كان يحتفظ بهذه الوثائق؟

بدت سارة مصدومة بشكل حقيقي هذه المرة، لم يكن صدمة اعتراف بالجريمة بل صدمة مفاجأة تامة! اتسعت عيناها وهما تحدقان في المجلد ثم في كروس، تمتمت سارة وصوتها بالكاد مسموع وملامح وجهها تظهر ذهولاً خالصاً: منجم ذهب؟ ووثائق باسمي؟ لا.. لا أصدق ذلك! أنا.. أنا لم أعلم بوجود أي منجم! ولم أرَ هذا المجلد في حياتي!

التقطت يدها المرتعشة المجلد وقلبت بعض صفحاته بسرعة: هذا.. هذا جنون! ريتشارد لم يخبرني بهذا قط! لم يذكر لي أي منجم!

بدا كروس يراقب كل تعابيرها كان هناك شيء في دهشتها يبدو حقيقياً، دموعها هذه بدت دموع مفاجأة ويأس..

قال هاري كروس وهو يحاول أن يستدرجها: إذا لم تكوني تعلمين به سيدة سارة كروسبي فلماذا كانت وثائق ملكيته مسجلة باسمكِ؟ ولماذا كتب لكِ ريتشارد رسالة حوله؟ ولماذا وجدنا ملاحظة بخط يدكِ تقول " ما أخذته سيُدفن معك "

ارتعشت سارة وهي تشير إلى الملاحظة ثم إلى المجلد: ذاك الخط ليس خطي أنا، ولم أكن أعلم أي شيء عن هذا المنجم؟

بما أن سارة بريئة من معرفة المنجم يصبح من الضروري إعادة النظر في جميع المشتبه بهم الذين كانوا على علم بمشاكل ريتشارد المالية، أو الذين

كانت لديهم أسباب قوية للانتقام منه، الشخص الذي يعرف بالمنجم هو الآن المشتبه به الرئيسي..

قرر المفتش هاري كروس أن يركز الآن على إلياس فينش شريك ريتشارد التجاري القديم وقد ذكرت السيدة بيرتا أن بينهما خلافات مالية حادة وأن إلياس كان يغادر المكتبة غاضباً، إذا كان هناك من يعرف أسرار ريتشارد المالية ومنجم الذهب يقع ضمن هذه الفئة فهو إلياس..

قال هاري كروس وهو يشير إلى المجلد المفتوح على الطاولة الذي يحتوي على وثائق المنجم: توماس أحضر لي السيد إلياس فينش مرة أخرى، هذه المرة لن نسأله عن الزر والملاحظة، هذه المرة سنسأله عن هذا المنجم..

بعد لحظات دخل إلياس فينش غرفة الرسم، بدا عليه التعب والضجر من الاستجوابات المتكررة، عيناه توقفت على المجلد المفتوح على الطاولة وبدا وكأنه يرى شيئاً مألوفاً ومفزعاً في آن واحد، تغير لون وجهه إلى شحوب شديد وبدأ المفتش هاري وصوته هادئ لكنه يحمل نبرة تهديد خفية: سيد فينش لقد عثرنا على هذا المجلد في الكتبة، إنه يحتوي على وثائق ورسومات لمنجم ذهب سري..

نظر هاري كروس مباشرة في عينيّ إلياس: لدينا دليل على أن هذا المنجم كان سراً كبيراً للسيد ريتشارد كروسبي، هل كنتَ تعلم بوجوده؟ وهل كنتَ تعلم أن ريتشارد كان يمتلك وثائقه؟

تجمد إلياس فينش مكانه وبدأت الشرايين تنتفخ في عنقه ويداه ترتجفان، حاول أن يتحدث لكن الكلمات لم تخرج من فمه في البداية، كان ينظر إلى المجلد بتعبير لا يمكن فهمه، مزيج من الصدمة والغضب والاعتراف..

تمتم إلياس أخيراً وصوته مبحوح: هذا.. هذا مستحيل! كيف.. كيف وجدتم هذا؟

قال كروس بحدة مستغلاً ارتباكه: إذاً كنتَ تعرفه؟ كنتَ تعلم بأمر المنجم أليس كذلك سيد فينش؟

أنهار على الكرسي ووضع رأسه بين يديه: لعنة الله عليه، لعنة الله على هذا المنجم اللعين! حتى أننا تشاجرنا ليلة مقتله..

هذا يضع إلياس فينش في دائرة الشك بقوة أكبر لأنه اعترف بمعرفته بالمنجم، ولكن إذا كان القاتل رجلاً فكيف نفسر صوت المرأة الذي سمعه جاك؟ هذا يدخل امرأة أخرى ربما شريكة في الصورة، أو أن جاك أخطأ تقديره..

هذه المرة بتركيز أكبر على طبيعة علاقته بريتشارد فيما يخص المنجم، كان إلياس يبدو أكثر انهياراً من ذي قبل بعد أن بدأت خيوط الحقيقة تلتف حوله..

قال هاري كروس وهو يميل إلى الأمام قليلاً: سيد فينش، لقد أخبرتنا أنك تعرف المنجم وأخبرتنا أنك تشاجرت مع ريتشارد في ليلة مقتله، أريد أن أعرف تفاصيل هذا الشجار، ماذا كان يدور بينكما؟ وما علاقة المنجم بكل هذا؟

تنهد إلياس بعمق بدا وكأن الهواء يخرج من رئتيه بصعوبة: ريتشارد.. هذا الرجل لم يكن ليتغير أبداً، لقد جئته تلك الليلة لأتحدث معه عن وثيقة جديدة وجدتها، وثيقة تثبت حقي في حصة أكبر من المنجم وليست مجرد جزء صغير كما كان يدعي..

اشتدت قبضته على حافة الطاولة: لقد دخلت المكتبة وجدته هناك جالساً خلف مكتبه كان يتظاهر بالهدوء، عرضت عليه الوثيقة وأخبرته أن الوقت قد حان لنتعامل بإنصاف، اقترحت عليه صفقة أيها المفتش، صفقة عادلة لكلينا نقتسم الأرباح بشكل أكبر ونستثمر معاً في تطوير المنجم، قلت له إن هذا سيعود بالنفع على الجميع بما في ذلك عائلة كروسبي..

ارتفعت نبرة صوت إلياس تدريجياً وعادت إليه حرارة تلك اللحظة:

لكنه.. ريتشارد رفض بقوة! لم يكن هناك مجال للنقاش معه، ضحك في وجهي أيها المفتش، ضحك!

بدأت عينا إلياس تلمعان بالغضب: قال لي إلياس أنت لا تفهم شيئاً هذا المنجم ملكي أنا وحدي! كل ما فيه لي ولن أعطي سنتاً واحداً لأي شخص

آخر، خاصة أنت! انسى أمر حصتك الكبرى، انسى الأمر كله، لقد أصبح صوته عالياً جداً..

وتابع إلياس وهو يرتجف: قال إنه سيسحق أي شخص يحاول أن يأخذ منه شيئاً، إنه لن يشارك أحداً، هددني، لقد كان مجنوناً بالسلطة والطمع، لم يكن لديه ذرة إنسانية في تلك اللحظة..

أنهى إلياس كلامه بتنهيدة أخرى كأن الذكريات تستنزف طاقته: بعد ذلك لم يبقَ شيء لأقوله كان الجدال بلا فائدة، غادرت المكتبة تاركاً إياه في جنونه هذا كل ما حدث..

– ريتشارد من أخبرك عن المنجم؟ أم اكتشفته بنفسك؟

هز رأسه علامة النفي قائلاً: لا أريد التحدث عن هذا أيها المفتش..

– كما تريد، وماذا عن الزر؟ هو يخصك أليس كذلك؟

أومأ برأسه بيأس وقال: الزر اللامع يخصني أيها المفتش، ربما سقط مني تلك الليلة دون أن أنتبه..

عاد هاري بظهره للخلف قائلاً: لماذا أخفيت معرفتك بالزر إذاً؟

بلل إلياس شفتيه قائلاً بتردد: خفت.. خفت كثيراً من أن..

قاطعه هاري كروس قائلاً: من اتهامك بقتل السيد ريتشارد؟

هز إلياس رأسه بقوة قائلاً: أنا لم أقتله صدقني.. أرجوك صدقني أيها المفتش، تجادلنا نعم لكني لم أقتله! تركته وغادرت إلى منزلي غاضباً..

أومأ هاري كروس برأسه وطلب منه البقاء في المنزل حتى انتهاء التحقيق، وقال توماس: هل تصدق كلامه هاري؟

- ماذا عنك؟
- أنا لم أصدقه أبداً، الواضح أن إلياس هذا سيد جشع جداً!

ابتسم هاري بوهن ولم يقل شيء وقال توماس: ماذا عن الملاحظة؟ سارة تنكر تماماً أن الخط يخصها!

- يمكن أنها تتحدث الحقيقة والخط ليس خطها توماس..
- ماذا تعني؟ أن أحدهم قام بتزوير خطها لتوريطها!

تأفف هاري قائلاً: لا أعرف توماس؟ حالياً لا نعرف؟

- ماذا سنفعل الآن؟
- إذا لم يكن إلياس هو القاتل وأن الملاحظة عن المنجم وسارة لا تعرف عنه، فهذا يعني أن هناك طبقات أخرى من الخداع، دعنا نعود إلى السيد آرثر وجاك الشاهدان اللذان قد يكون لديهما معلومات غير معلنة، أمر حيوي، جاك على وجه الخصوص سمع صوت امرأة

تغادر المكتبة ليلة الجريمة، دعنا نسأله لمعرفة المزيد عن هذه النقطة وعن أمر المنجم أيضاً إن كان يعرف بأمره..

- حسناً هاري..

وطلب هاري كروس من صديقه إحضار جاك إلى غرفة الرسم مجدداً، عندما دخل جاك الغرفة بدا عليه التوتر أكثر من المعبود وعيناه تتجولان بقلق..

بدأ هاري كروس ونبرة صوته هادئة ومطمئنة: جاك لقد ساعدتنا كثيراً من قبل بمعلوماتك ونحن نثق بك، أريد أن أسألك عن شيء مهم جداً سمعته ليلة أمس..

أومأ جاك برأسه وهو يحدق في كروس: عندما كنت في غرفتك ليلة أمس بعد أن سمعت صوت السقوط والتنهيدة ذكرت أنك سمعت خطوات سريعة وخفيفة جداً تتجه نحو الباب الخلفي وقلت إنها صوت امرأة، هل يمكنك أن تخبرنا مجدداً عن هذا الصوت؟ هل كنت متأكداً أنه صوت امرأة؟ وهل تستطيع تحديد من كانت تلك المرأة؟

تردد جاك وعيناه اتسعت قليلاً بدا وكأنه يتذكر شيئاً ما يزعجه وتمتم: نعم.. صوت امرأة.. سريع.. خفيف..

ثم نظر إلى الأسفل: كان.. كان صوت كلوي..

كان تأكيد جاك هذه المرة أكثر حزماً لقد كان صوته خافتاً في السابق ولكن الآن بدا أكثر ثقة رغم تردده: لقد سمعتها من قبل.. خطوات كلوي دائماً خفيفة وسريعة عندما تكون مستعجلة أو.. غاضبة..

تنحنح هاري كروس وسأله: أريد أن أسألك آخر سؤال جاك..

أومأ جاك برأسه قائلاً: أسمعك..

وضع هاري كروس المجلد أمامه قائلاً: هل سبق لك أن رأيت هذا من قبل؟

لم يبعد جاك عيناه عن المجلد وسأله: ما هذا؟

أجابه هاري وهو يراقب تعابير وجهه: منجم ذهب سري وعمك كان يمتلك وثائقه..

لم يظهر جاك أي ردة فعل بل قال في وجه هاري مباشرة: أبداً، هذه المرة الأولى التي أرى بها هذا الشيء..

بعد شهادة جاك وأنه لا يعرف أي شيء عن المنجم عرف هاري كروس أنه يجب أن يواجه آرثر بوضوح أكبر، وطلب هاري من صديقه إحضار آرثر الذي دخل الغرفة وبدا عليه الإرهاق..

سأله هاري مباشرة: سيد آرثر لدينا أسئلة إضافية مهمة للغاية وقد تكون حساسة بعض الشيء تتعلق بما اكتشفناه مؤخراً، هل كنت تعلم بوجود منجم ذهب سري وأن السيد ريتشارد كان يمتلك وثائقه؟

تغير لون وجه السيد آرثر بدت عليه علامات الصدمة والقلق لكنه سرعان ما استعاد رباطة جأشه وإن كان بجهد: منجم ذهب؟ لا أيها المفتش لم أعلم بوجود أي منجم!

ضغط هاري كروس قائلاً: ولكن السيد إلياس فينش اعترف بمعرفته به ونحن نعلم أن ريتشارد كن يتحكم بهذه الوثائق التي تعود ملكيتها للسيدة سارة مما قد يكون دافعاً قوياً للقتل، هل أنت متأكد أنك لم تسمع أي شيء عن هذا المنجم؟

نظر آرثر إلى هاري بحدة ثم خفض صوته: ريتشارد كان لديه الكثير من الأسرار أيها المفتش، لم يكن يثق بأحد بسهولة خاصة فيما يتعلق بماله و.. ولقد كان دائماً يحاول أن يجعلني أعتمد عليه..

ثم تغيرت نبرة صوته وأصبحت أكثر دفاعية: وماذا عن ابني جاك؟ هل سيتأثر بهذا؟ ألا يكفي ما حدث له؟

بدا أن آرثر يحاول الانتباه عن نفسه والتركيز على حماية جاك، ولكن في نفس الوقت كان يتجنب الإجابة المباشرة حول معرفته بالمنجم..

تابع هاري كروس وهو يراقب تعابير وجهه: سيد آرثر ابنك جاك قدم لنا شهادة أخرى هامة، لقد أخبرنا أنه سمع صوت الآنسة كلوي وهي تغادر المكتبة بعد الجريمة، هل لديك أي فكرة لماذا قد تكون كلوي في المكتبة في ذلك الوقت؟

تجمد آرثر بدت الدهشة على وجهه لكنها سرعان ما تحولت إلى قلق شديد، نظر حوله وكأنه يبحث عن مخرج: كلوي؟ لا.. مستحيل! كلوي كانت في غرفتها!

الآن بعد أن أصبح لدينا دليل قاطع من جاك يربط كلوي بمسرح الجريمة وإقرار إلياس بالمنجم، ووجود زره في المكان، وسارة التي تنكر معرفتها بالمنجم ولكن خطها على الملاحظة، وآرثر الذي يتهرب من الإجابة عن المنجم، أصبحت الصورة أكثر تعقيداً..

أراد المفتش هاري كروس إغلاق كل الخيوط المفتوحة وتأكيد المعلومة من كلوي مما اتهمها به جاك، استدعها إلى غرفة الجلوس حيث كانت تجلس بانتظارهم، تبدو منهكة لكن ملامحها تحمل بعض التحدي..

بدأ هاري كروس كلامه: آنسة كلوي لدينا بعض الأسئلة الإضافية لكِ بخصوص ليلة مقتل السيد ريتشارد..

نظرت كلوي بعينيها الواسعتين: أخبرتكم بكل ما أعرفه أيها المفتش، نمت باكراً ليلة أمس..

تابع كروس: حسناً، لنفترض أنكِ نمتِ باكراً، هل لديكِ أي فكرة عن منجم ذهب سري كان يمتلكه السيد ريتشارد؟ هل كنتِ تعرفين شيئاً عنه؟

تجمدت كلوي للحظة ثم قطبت حاجبيها في استغراب حقيقي: منجم ذهب؟

كررت الكلمات وكأنها تسمعها لأول مرة: لا بالتأكيد لا، لم أسمع شيئاً عن منجم ذهب. أبي كان يمتلك الكثير من الأصول لكنه لم يذكر لي شيئاً كهذا أبداً..

بدت الدهشة على وجهها حقيقية وقال هاري كروس مباشرة: هناك من يدعي أنه سمع صوتكِ وأنتِ تغادرين المكتبة قي وقت متأخر من ليلة الجريمة، أو حتى بعد وقت قصير من وقوعها..

رفعت كلوي رأسها وعلامات الصدمة والغضب بدأت ترتسم على وجهها: هذا كذب! من يدعي ذلك؟ أنا لم أغادر غرفتي بعد الساعة العاشرة ليلاً، نمت باكراً ولم أسمع شيئاً حتى الصباح التالي عندما سمعت الفوضى..

نظرت إلى كروس بعينين ثابتتين: لم أكن في المكتبة ليلة البارحة، ولم أسمع أي شيء مريب، ولا أعرف شيئاً عن أي منجم ذهب، هذه اتهامات سخيفة!

كان نفي كلوي قاطعاً ومقنعاً بدا وكأنها لا تكذب، كانت الصدمة من اتهامها بالمعرفة بالمنجم أو تواجدها في المكتبة حقيقية تماماً..

أومأ هاري كروس برأسه قائلاً: يمكنك الذهاب إلى غرفتك الآن آنسة كلوي..

ذهبت وقال توماس: هل كانت تقول الحقيقة هاري؟

تنهد هاري قائلاً: بما أن سارة لا تعلم بالمنجم ومع ذلك الملاحظة بخط يدها وعن المنجم فهناك احتمالان قويان..

أكمل توماس قائلاً: تزوير الخط، القاتل الحقيقي قام بتزوير خط سارة لكتابة هذه الملاحظة، أو الإكراه! القاتل الحقيقي والذي يعرف بالمنجم أجبر سارة على كتابة الملاحظة ربما تحت تهديد السلاح أو تهديد شخص تحبه..

أومأ هاري برأسه قائلاً: هذا يضع إلياس فينش في دائرة الشك بقوة أكبر، لأنه الوحيد الذي اعترف بمعرفته بالمنجم، ولكن إذا كان القاتل رجلاً فكيف نفسر صوت المرأة الذي سمعه جاك؟

اقترح توماس قائلاً: ما رائيك التحقيق في قدرة أي شخص على تزوير خط سارة؟ هل يوجد من له مهارة في تقليد خطوط اليد؟

هز هاري رأسه قائلاً: ليس لدينا الوقت لهذا توماس..

ذهب هاري إلى أمام النافذة قائلاً: المنجم السري دافع قوي للغاية للقتل، إلياس فينش يعترف بمعرفته بالمنجم ويظهر غضباً شديداً تجاهه، والملاحظة مكتوبة بخط سارة وتتحدث عن المنجم، وسارة تنكر معرفتها بالمنجم وهذا يرجح أن خطها تم تزويره أو أنها أجبرت على الكتابة، والزر تم العثور عليه في مسرح الجريمة وهو يخص السيد إلياس فينش مما يضعه هناك ليلة الجريمة وقد اعترف أن خلاف كبير دار بينه وبين الضحية ليلة الجريمة، وشهادة جاك عن صوت المرأة ما زالت قائمة، إذا كان إلياس هو القاتل فهل كانت هناك شريكة له؟ أم أن جاك أخطأ تقديره؟ أم أن إلياس كان يتنكر؟

أكمل توماس قائلاً: الاستنتاج الجديد هو أن إلياس فينش هو المشتبه به الرئيسي الآن، لديه الدافع المنجم والدليل المادي المباشر الذي يربطه بمسرح الجريمة الزر، أما الملاحظة فتبدو الآن وكأنها محاولة لتوريط سارة..

- علينا الضغط عليه للكشف عن الحقيقة كاملة، سنبحث عن تفاصيل حول كيفية علمه بالمنجم ولماذا قتل ريتشارد؟ وكيف تم تزوير خط سارة، ودور صوت المرأة الذي سمعه جاك..
- هل سنسأله مباشرة أم سنبحث في غرفته؟

فكر هاري لبرهة وقال: سنبحث عن الدليل في غرف الجميع توماس، على الرغم من فحص الغرف الأولي يجب إعادة فحصها بدقة شديدة هذه المرة والبحث عن أي شيء غير متوقع، ملاحظات أو رسومات، هل قام القاتل برسم خرائط أو كتابة ملاحظات غريبة؟ أو حتى نسخ جزء من وثائق المنجم؟ كتب عن التعدين أو الجيولوجيا، هل كان يقرأ عن هذه المواضيع؟ أدوات غير معتادة، هل لديه أي أدوات قد تستخدم في فحص الصخور أو المعادن؟

أكمل توماس عنه: سجلات السيد ريتشارد، هل يمكن أن تكون هناك أي ملاحظات من ريتشارد تشير إلى معرفة القاتل بالمنجم، أو أي تفاعلات بينهما بخصوص هذا السر؟ علينا البحث عن أي دليل على أن القاتل قد تجسس على ريتشارد أو سمع محادثات حول المنجم..

- ولا ننسى أن سلاح الجريمة غير موجود!
- معك حق هاري..

– بالأول لنقوم بسؤال السيدة بيرتا عن المنجم إن كانت تعرف أي شيء عنه..

وذهب برفقة صديقه إلى المطبخ حيث كانت السيدة بيرتا منهمكة في عملها لكنها بدت أقل حيوية من ذي قبل وكأن أحداث القصر أثقلت كاهلها..

قال هاري كروس بنبرة هادئة ومطمئنة: سيدة بيرتا لدينا سؤال أخير لكِ، سؤال يتعلق بشيء لم نناقشه من قبل، هل سمعتِ السيد ريتشارد يتحدث عن منجم ذهب سري؟

توقفت بيرتا عن تقطيع الخضروات ورفعت رأسها ببطء، لم تبدِ صدمة ككلوي بل ظهر على وجهها تعبير من التفكير العميق والقلق، بدا وكأنها تحاول تجميع قطع من الذاكرة وتمتمت وعيناها تحدقان في الفراغ: منجم ذهب؟ نعم.. نعم، أظن أنني سمعت شيئاً كهذا..

أومأ كروس لها أن تستمر: ماذا سمعتِ بالضبط يا سيدة بيرتا؟

خفضت بيرتا صوتها كأنها تتحدث عن سر كبير: لم تكن أحاديث مباشرة، كانت مجرد همسات تأتي من المكتبة، أحياناً أسمعه يتحدث في الهاتف، صوته يكون منخفضاً لكنني ألتقط كلمات مثل منجم.. وذهب.. وسر.. كان حريصاً جداً على إخفاء هذا الأمر..

عبست بيرتا قليلاً: أتذكر ذات مرة سمعته يرفع صوته قليلاً ويقول: لن يعرف أحد بهذا، هذا ملكي وحدي! ظننت أنه يتحدث عن استثمار سري أو شيء من هذ القبيل، لم أفكر أنه منجم حقيقي..

ثم أضافت وكأنها تتذكر شيئاً آخر: وكان هناك السيد إلياس، كان يأتي كثيراً إلى المكتبة في الأشهر الأخيرة، أذكر أنني سمعت أصوات جدال بينه وبين السيد إلياس مرات عديدة وكانت كلمات مثل: حقي.. وتقاسم، تتردد أحياناً ربما كان ذلك حول هذا المنجم الذي تتحدثون عنه..

كانت شهادة بيرتا تؤكد وجود المنجم وإصرار ريتشارد على سريته وخلافاته مع إلياس بشأنه، لم تكن لديها تفاصيل دقيقة لكنها كانت شاهدة على الأجواء المتوترة التي أحاطت بالمنجم..

وبدأ هاري كروس وصديقه توماس بالبحث في جميع الغرف عن أي دليل وعن سلاح الجريمة أيضاً، فحصا هذه المرة بعين أكثر دقة باحثين عن أي شيء قد يبدو غير منطقي أو خارج عن مكانه، ربما قد لا يكون قد أخفي شيئاً بالطريقة التقليدية..

وفي إحدى الغرف في المنزل يكتشف هاري أن أحد الكتب يحتوي على رسومات أو تعديلات غريبة قام بها القاتل بنفسه! بين صفحات الكتاب، أو مرسومة بخط رفيع على هوامش الخرائط الموجودة بالكتاب يجد كروس رسومات تخطيطية تتطابق بشكل مدهش مع جزء من خرائط منجم الذهب

السرية التي عُثر عليها في مكتب ريتشارد، ربما تكون هناك ملاحظات مشفرة أو كلمات متقطعة كتبها القاتل تبدو كمخربشات عادية لكنها في الحقيقة تشير إلى أماكن محددة في المنجم أو معلومات سرية عنه، هذا قد يعني أن القاتل لم يكتشف المنجم بالصدفة بل ربما تجسس على ريتشارد أو سمع جزءاً من محادثة ثم قام بربط الأفكار بناءً على قدراته الملاحظة الفائقة وذكائه الخفي..

قال توماس وهو لا يصدق: إنه يربطه بالمنجم مباشرة ويثبت معرفته به، ويشير إلى ذكائه وقدرته على فهم المعلومات المعقدة وربما استخدامها في خطته! هذا يشرح لنا كيف علم بالمنجم دون أن يخبره أحد بشكل مباشر مما يعزز فرضية أنه كان يستمع ويتجسس..

هذه المرة لم يتركا شيئاً للصدفة وكان هاري كروس وصديقه يركزان على الأشياء الشخصية للقاتل خاصة كتبه وأوراقه مع الأخذ في الاعتبار قدرة القاتل على الملاحظة والذكاء غير التقليدي، بينما كان توماس يفحص درج الكتب سحب هاري من رف الكتب كتاباً قديماً ومجلداً عن كنوز "العالم المفقودة والخرائط الغامضة"، كان كتاباً ضخماً يبدو وكأنه المفضل لدى القاتل، قلب هاري الصفحات ببطء متفحصاً الرسومات التوضيحية والخرائط القديمة بداخله وفجأة توقف في إحدى الصفحات المخصصة لخريطة لموقع منجم مهجور في منطقة نائية لاحظ هاري خطوطاً رفيعة

وملاحظات صغيرة مكتوبة بقلم رصاص خفيف عل هوامش الخريطة لم تكن مجرد مخربشات عشوائية بل كانت تعديلات دقيقة للغاية على الخريطة الأصلية وكأنها تضيف تفاصيل غير موجودة..

قرب هاري كروس الكتاب من عينيه وبدأ يقارن الرسومات بخط اليد مع الخرائط السرية لمنجم الذهب التي عُثر عليها في مكتب السيد ريتشارد، كانت الصدمة واضحة على وجهه، نادى وصوته يقطر بالذهول: توماس تعال وانظر إلى هذا!

جاء توماس بسرعة وأشار هاري إلى الرسم التخطيطي في كتاب القاتل: هذه التعديلات.. وهذه المعرجات الصغيرة.. وهذا النفق المتقطع هنا.. إنها تطابق تماماً التفاصيل الدقيقة الموجودة في خرائط منجم الذهب السري التي وجدناها في مكتب السيد ريتشارد! تفاصيل لم تكن لتكون معروفة إلا لمن كان على اطلاع عميق بالمنجم..

لم يكن ذلك فقط! في صفحة أخرى وجد هاري كلمات متقطعة وملاحظات مشفرة بخط القاتل نفسه مثل الضوء الخافت.. تحت الصخرة.. حيث تلتقي المياه، وهي عبارات بدت وكأنها إشارات إلى مداخل أو خصائص معينة للمنجم الموصوف في وثائق ريتشارد..

قال هاري كروس وعيناه ضيقتان: أصبح الدليل واضحاً وهذا الدافع قوي جداً للجريمة ويفسر دهاءه في تضليل التحقيق..

أضاف توماس: لم يعد أمامه مفر الآن، ولم نجد سلاح الجريمة بعد هاري، علينا البحث جيداً..

- لقد وجدناه توماس..
- أين؟

صمت هاري كروس للحظة وقال: اذهب واجمع لي سكان المنزل في غرفة الرسم توماس حالاً..

- يعني هو القاتل الحقيقي!

أومأ برأسه وقال بنبرة واثقة جداً من نفسه: بلا شك..

أومأ توماس برأسه وذهب لينفذ ما طلب منه..

كشف الحقيقة..

تجمع أفراد قصر كروسبي من سارة الشاحبة إلى آرثر القلق ومن كلوي التي ما زالت تحمل نظرة الصدمة إلى مدبرة المنزل بيرتا التي كانت ترتجف بصمت في غرفة الرسم..

وقف المفتش هاري كروس في المنتصف وعيناه الزرقاوان تتنقلان بين الوجوه المتوترة بينما وقف صديقه توماس بجانبه يحمل ملف التحقيق، بدأ هاري كروس وصوته يملأ الغرفة: لقد مضى طويل في كشف خيوط هذه الجريمة

المأساوية، كل دليل، كل شهادة، قادتنا عبر متاهة من الأسرار والخداع والآن حان وقت الكشف عن الحقيقة الكاملة..

توقف لحظة وسمح للتوتر أن يتصاعد: في ليلة مقتل ريتشارد كروسبي كانت المكتبة مسرحاً لأحداث لم تكن كلها ظاهرة للعيان، في البداية قادتنا الأدلة نحو السيدة سارة بسبب تلك الملاحظة التي وُجدت خلف الكتب، نعم، الملاحظة كانت بخط يدها ولكنها وُضعت هناك عمداً لتضليل التحقيق..

نظر هاري كروس إلى إلياس فينش: السيد فينش، أنت كنت في المكتبة تلك الليلة، لقد جئت لمواجهة ريتشارد بخصوص منجم الذهب السري، كانت هناك صفقة معلقة عرضتها عليه لكنه رفضها بقوة مما أثار غضبك الشديد..

والتفت كروس إلى بقية الحاضرين: في تلك المواجهة تفسر لنا ثلاثة ألغاز كانت محيرة، أولاً النافذة المفتوحة في المكتبة السيد فينش فتحها للسماح لدخان سجائرك بالخروج لأن السيد ريتشارد لا يدخن، في تلك اللحظة العصيبة من الجدال، ثانياً منفضة السجائر النظيفة جداً تفسيرها يكمن في عادتك الشخصية سيد فينش، أنت شخص يحب النظافة والدقة، ولذلك قمت بتنظيف المنفضة بنفسك قبل مغادرتك المكتبة تاركاً إياها خالية من أي أثر، وثالثاً الكأس المفقود والذي ترك أثره على الطاولة في لحظة

الغضب العارم بعد رفض ريتشارد للصفقة السيد فينش أمسك بذلك الكأس دون وعي، كرمز لتلك الصفقة المنهارة أو ربما كشيء يفرغ فيه غضبك، أخذته معك عند مغادرتك..

توقفت أنظار هاري كروس على القاتل الذي كان يبدو شاحباً وعيناه مثبتتان على الأرض، وأكمل هاري: أليس صحيحاً سيد فينش؟

– لقد كنت غاضباً منه كثيراً لدرجة لم أكن أرى أي شيء تجاهي..

تابع هاري كروس وصوته يزداد حدة: هنا تكمن النقطة الحاسمة، كل هذه الأدلة كانت تشير إليك سيد فينش لكن كان هناك شاهد آخر غير مرئي وغير متوقع، شخص كان يتسلل ويستمع، شخص ترك باب المكتبة مفتوحاً جزئياً بعد أن تسلل ليسمع الجدال بين إلياس وريتشارد وتركه مفتوحاً عمداً بعد الجريمة ليُعطي الانطباع بأن إلياس هو من تركه هكذا عندما رأته السيدة سارة في الصباح التالي..

توالت الأنفاس في الغرفة والجميع ينظر لبعض: هذا الشاهد، هذا المستمع الذي كان يعلم بكل شيء هو الذي ارتكب الجريمة، القاتل هو جاك كروسبي..

تحرك الجميع في الغرفة صرخات صغيرة هنا وهناك، ونظر هاري كروس مباشرة إلى جاك: لقد طعنت ريتشارد بسكين الرسائل وخبأت الأداة في

لوح خشبي مخفي، فعلت كل ذلك لحماية والدك السيد آرثر من تهديدات ريتشارد بإفلاسه، لقد وضعت ملاحظة سارة لتوريطها وكذبت بشأن صوت الآنسة كلوي لتضليلنا..

كان جاك يرتجف ثم رفع عينيه المليئتين بالدموع، لم يعد قادراً على إنكار أي شيء، كانت الحقيقة قد كُشفت أخيراً في ظل المكتبة..

وأكمل هاري كروس وصوته يملأه الهدوء لكنه يحمل ثقلاً لا يمكن إنكاره: لقد عثرنا على شيء مثير للاهتمام للغاية في غرفتك..

سحب كروس الكتاب القديم " عن كنوز العالم المفقودة" من حقيبته ووضعه على الطاولة أمام جاك، فتح الكتاب على الصفحة التي تحتوي عل خريطة المنجم المعدلة وقال وهو يشير إلى الخطوط الرفيعة والملاحظات الدقيقة: هذه الخريطة يا جاك، إنها تطابق تماماً التفاصيل الموجودة في خرائط منجم الذهب السري التي وجدناها في مكتب عمك ريتشارد، تفاصيل لا يمكن أن تكون معروفة إلا لمن يعرف المنجم جيداً..

اتسعت عينا جاك بشكل مخيف وتلاشى الارتباك المعتاد من وجهه ليحل محله تعبير من الذعر والخوف العميق، حاول التكلم لكن الكلمات لم تخرج..

نظر كروس إلى آرثر قائلاً: سيد آرثر هل كنت تعرف أن جاك يملك هذه المعلومات؟ هل كنت تعلم أن ابنك كان يتجسس على السيد ريتشارد بخصوص المنجم؟

آرثر الذي كان يحدق في الخريطة المعدلة بيد جاك بدا وكأن العالم انهار من تحت قدميه، انهارت مقاومته تماماً صرخ وصوته مختنق باليأس: لا! جاك ماذا فعلت؟

ثم نظر إلى المفتش وعيناه مليئتان بالدموع: ما لذي تقوله أيها المفتش؟ ابني قاتل!

تحول كروس إلى جاك مرة أخرى وأصبحت نبرته أكثر حدة: جاك لماذا كذبت بشأن صوت كلوي؟ لماذا حاولت توريطها؟ ولماذا قتلت عمك ريتشارد؟

نظر جاك حوله بيأس رأى وجه والده المحطم ونظرات كروس وتوماس الثاقبة انهار أخيراً..

صرخ جاك فجأة وصوته المرتفع يكسر الصمت: لأنني.. لأنني سمعته! سمعت ريتشارد يتحدث مع إلياس عن المنجم قال إنه لن يشارك أحداً به، قال إنه سيأخذ كل شيء! وقال.. قال إنه سيجعل أبي يفلس إذا لم يفعل ما يريده، لم أستطع أن أدعه يفعل ذلك..

بعد الانهيار ومع كشف الحقيقة كاملة أمامه، جاك لم يعد لديه ما يخسره وها هو يشرح بتفصيل أكبر كيف ارتكب تلك الجريمة المروعة، مع انكساره الكامل أمام المفتش هاري كروس بدأت كلمات جاك تخرج بصوت خافت في البداية ثم تعالت تدريجياً مع كل تفصيل يرويه وكأن إعادة عيش اللحظة تسيطر عليه: بعد أن غادر إلياس المكتبة.. بقيت أنا أختبئ بالقرب من الباب سمعت ريتشارد يتذمر بصوت عالٍ في الداخل، كان يتحدث عن الوثائق اللعينة وعن إلياس الأحمق الذي لن يحصل على أي شيء..

غضب إلياس منه وصرخ به: أنت هو الأحمق الوحيد أيه المجرم!

لم يكترث جاك له وأكمل: كان غاضباً ويردد أنه الوحيد الذي يستحق كل شيء من المنجم..

توقفت عيون جاك على يديه المرتعشتين في تلك اللحظة: لم أستطع التحمل أكثر، كل كلمة قالها كانت تزيد من غضبي وخوفي على أبي.. رأيت أبي وهو يعاني سنوات بسبب ريتشارد وهذا المنجم كان سيقضي علينا تماماً، دفعت الباب قليلاً ودخلت بعد ذهاب إلياس، دخلت ولم يلاحظني ريتشارد على الفور، كان ظهره نحو المدفأة وكانت سكين الرسائل الحادة على المكتب قريبه من يده كانت تلمع، رأيتها.. وكأنها

تناديني.. بينما ريتشارد كان لا يزال يتذمر وينظر إلى الأوراق أمامه اقتربت منه بهدوء، كان ظهره لي.. لم يراني قادماً، لم يكن يتوقعني أبداً..

تصلبت ملامح جاك وكأنه يعيد تمثيل اللحظة في ذهنه: أمسكت السكين.. كان المقبض بارداً في يدي.. وفجأة شعر بوجودي خلفه التفت إليّ وبكل قوتي وبكل الغضب واليأس الذي شعرت به.. طعنته مباشرة في قلبه..

شهقت كلوي وسارة معاً وجاك أيضاً وكأن الألم يعود إليه هو نفسه: سقط فوراً ولم يصرخ، فقط تنهيدة خافتة.. وصوت سقوط جسده على الأرضية الخشبية، الدم بدأ ينتشر ببطء على القميص الأبيض.. كانت رؤية مرعبة.. كنت مذعوراً لكن كان عليّ أن أتصرف بسرعة، بحثت عن ورقة لأكتب عليها تلك الملاحظة بخط سارة لأني أكرها كثيراً وأكره اليوم الذي أتت به إلى هنا، كنت أعرف خطها جيداً وأيضاً أنا جيد في تزوير الخطوط، نظرت بعينيّ عن مكان لوضعها وخبأتها خلف كتاب التاريخ الروماني لتكون رسالة تهديد من سارة إن وجدها أحدهم..

قالت سارة بصوت عالي: إنسان مريض! كيف فعلت هذا؟ لن تنجو بفعلتك..

أكمل جاك والدموع تملأ عينيه: ثم أمسكت السكين.. كانت يدي ملطخة بالدم، هربت، لم أفكر إلا في التخلص من السكين، تذكرت اللوح الخشبي

المخفي بجانب المدفأة الذي اكتشفته عندما كنت طفلاً، دفعته ورميت السكين بالداخل ثم أغلقت اللوح بسرعة، لم يلاحظ أحد شيئاً..

أغلق جاك عينيه وعلامات الألم العميق تعلو وجهه: خرجت من المكتبة بهدوء ثم سمعت صوت كلوي في الرواق وهي تعود إلى غرفتها، خطواتها الخفيفة، استغليت ذلك وقلت إنها هي من غادرت المكتبة، لم أرد أن يعرف أحد أنني كنت هناك، لم أرد أن يعرف أحد ما فعلته..

هذا كان اعتراف جاك بالكامل حيث كشف عن أدق تفاصيل الجريمة، دوافعه، والطريقة التي نفذ بها خطته اليائسة لإخفاء جريمته..

بعد هذا الكشف المذهل واعتراف جاك كروسبي ستتبع الأحداث مساراً حتمياً في عالم القانون والعدالة لكن تأثيرها لن يقتصر على ذلك بل سيمتد ليطال حياة كل فرد في قصر كروسبي..

الإجراءات القانونية..

سيتم فوراً القبض على جاك كروسبي رسمياً بتهمة قتل ريتشارد كروسبي بناءً على اعترافه المفصل والأدلة المادية التي جمعها المفتش هاري كروس ستكون قضيته قوية جداً..

رغم الاعتراف سيواصل المفتش هاري كروس وتوماس استكمال جمع الأدلة وتوثيقها، مثل استعادة سكين الرسائل من مخبأها وتأكيد التفاصيل التي

قدمها جاك، سيتم أخذ إفادات رسمية من الجميع وستتحول شهاداتهم السابقة إلى جزء من أدلة الإدانة..

سيواجه جاك محاكمة جنائية بالنظر إلى اعترافه الواضح ومن المرجح أن يُدان ويحصل على حكم السجن..

تداعيات على العائلة والقصر..

آرثر كروسبي: سيكون وقع هذا الاعتراف كارثياً على آرثر فكرة أن ابنه الوحيد هو قاتل شقيقه ستدمر ما تبقى من صحته وسلامة النفسي، قد يحتاج إلى رعاية مكثفة وقد ينهار تماماً..

سارة كروسبي: ستشعر سارة براحة كبيرة لإثبات براءتها ولكن الصدمة من توريط جاك لها ومن معرفة قاتل ريتشارد هو فرد من العائلة ستبقى معها طويلاً، قد تختار مغادرة القصر أو البحث عن حياة جديدة بعيداً عن هذه المأساة..

إلياس فينش: سيتم تبرئة إلياس رسمياً من جريمة القتل لكنه سيبقى متورطاً في سر المنجم وخلافاته مع ريتشارد، قد يحاول المطالبة بحقه في المنجم لكن سمعته ستكون قد تضررت..

الآنسة كلوي: ستشعر كلوي بالصدمة والخيانة من جاك الذي حاول توريطها ولكنها ستكون مرتاحة لأن الحقيقة قد ظهرت، قد تعود لحياتها الطبيعية لكن القصر سيكون قد فقد سحره بالنسبة لها..

القصر نفسه.. سيصبح قصر كروسبي " ظل المكتبة " مكاناً موصوماً بالعار والمأساة، قد يقرر الورثة بيعه أو قد يتحول إلى مكان يحمل ذكريات مؤلمة لا يزوره أحد..

نهاية القصة..

بانتهاء التحقيق وتوضيح كل الخيوط ستكون مهمة المفتش هاري كروس قد انتهت، سيعود إلى رويتنه تاركاً وراءه قصراً يحمل أسراره المظلمة وعائلة ممزقة بفعل الجريمة والخيانة، الحقيقة قد كُشفت لكن آثارها ستبقى للأبد..